الرسالة

[redacted]

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٥٠ - ١٨ يونيو سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No. 50.

Lundi-18-6-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٥٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ — ١٨ يونيو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفاء الأفق

فى الجزيرة العربيـــة

عقد الصلح بين زعيمى الجزيرة ، جلالة عبد العزيز بن السعود ، عاهل المملكة السعودية ، وسيادة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن ، فصفا أفق الجزيرة العربية ، وقرت عيون العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، بعد أن جزعت قلوبهم حيناً لتلك الحرب التى كادت تهدد أمن الجزيرة وسلامها ، وتفسح مجالاً لسعى الطامعين والمتربصين من خصوم القضية العربية . وعقدت معاهدة الطائف بين الفريقين لتنشئ بين المملكتين العربيتين صداقة دائمة ، وتحتم عليهما العمل المشترك فى الشئون الاقتصادية المشتركة ، وفى تنظيم العلاقات الخارجية ، فلا يعقد أحدها معاهدة مع دولة أجنبية تؤثر فى مصالح الطرف الآخر إلا باذنه وبعد مشاورته ؛ ويجب على الطرفين أن يتعاونا فى العمل لحماية المصالح المشتركة والدفاع عن استقلال الجزيرة العربية ضد أى خطر خارجى .

ولقد قلنا منذ البداية إن هذا الخلاف الخطير لا يعنى المملكة السعودية أو اليمن فقط ، وإنما يعنى مستقبل الجزيرة العربيــة بأسرها ، وناشدنا الزعيمين أن يتذرعا بالروية والحكمة ، وأن

يغلبا التفاهم والحسنى . ولكن الظروف كانت أقوى من أية ارادة ، فوقعت المعارك الأولى ، وتطورت الحوادث بسرعة ، ووقف العالم العربي والاسلامى مدى حين ذاهلاً يتساءل عما يمكن أن ينتهى الخطب اليه . وكان أشد ما يزعجه أن يرى بعض الدول الأجنبية تتربص وتتحفز لانتهاز الفرص والظروف . ولم يكن يومئذ ثمة مجال لتحديد المسئوليات أو توجيه اللوم ؛ وكل ما كان يشغل العالم الاسلامى ويهمه ، هو أن يعقد السلام بأية وسيلة ؛ وعود السلام الى الجزيرة هو السبيل الوحيد للقضاء على تلك المطامع والآمال الأجنبية التى لا تزدهر إلا فى الكدر والخصام ، والتى خشينا عواقبها حينما رست بعض السفن الأجنبية فى مياه الحديدة يوم أن استولت الجنود السعودية عليها ، واحتج مرسلوها بذلك العذر الخالد الذى نسمعه فى مثل هذه الظروف دائماً ، وهو حماية الرعايا الأجانب والمصالح الأجنبية ؛ وقرأنا فى الصحف الاستعمارية غير مرة أن بعض الجهات المعروفة بمطامعها فى الشرق تهتم أيما اهتمام بتطور الحوادث فى الجزيرة . ولكن تفاقم الحوادث على هذا النحو كان نذيراً بركود العاصفة ثم هدوئها ، فضوعفت الجهود فى سبيل السلام والتفاهم ، وأدرك امام اليمن خطورة الموقف ، وخطر التردد ، وعبث الخصومة والمقاومة ؛ فأقر الملك الوهابى على مطالبه التى اشترطها منذ البداية لوقف القتال ، وهى اخلاء الجبال التى احتلتها القوات اليمنية فى عسير ونجران ، واطلاق الرهائن ، وتسليم الأدارسة سادة عسير السابقين ؛ وبدأ الامام بتنفيذ الشروط المطلوبة ، واستؤنفت المفاوضات بين الفريقين يحدوها الرجاء تارة واليأس أخرى ، حتى شاء ربك أن تحقن الدماء وأن يعقد السلام ، وأن تصان الجزيرة من شر الطامعين والمتربصين .

***

وعقد معاهدة الطائف حادث عظيم فى تاريخ الجزيرة العربية ، ومهما قيل عن نصوص المعاهدة وأثرها فى مركز اليمن ، وكونها ترتب للمملكة السعودية عليها نوعا من الاشراف ، فلا ريب انها لخير الجزيرة بصفة عامة ويكفى انها حسمت نزاعا كان يضطرم منذ عشرة أعوام ، ويهدد الجزيرة بشره بين آونة وأخرى ، ويفسح المجال لسعى الكائدين ، وانها قررت حدوداً كانت دائما مثار الأخذ والرد . وهذه الخاتمة السعيدة لحوادث الجزيرة العربية تحمل على كثير من الغبطة والتفاؤل : اولاً لأنها كشفت مرة أخرى عن المعانى السامية التى يحملها التضامن الأسلامى ، وثانياً لأنها ستوحد بين الجهود التى تبذل لصون استقلال الجزيرة . فاما التضامن الاسلامى فقد ظهر فى هذه الحوادث بمظهر رائع ، وكان لصوت الرأى العام الاسلامى اكبر أثر فى تلطيف حدة الخلاف وفى تحذير الزعيمين من عواقبه ؛ وكان الرأى العام الاسلامى حكما فى الواقع يحتكم اليه الزعيمان ، فيذيع عليه جلالة ابن السعود وثائقه ومراسلاته مع سيادة الأمام ليشهده على ما بذل من الأناة والصبر ، ويرجوه سيادة الأمام الا يقف عند الأشاعات والاراجيف المزعجة ؛ وكان وفد الأمم الأسلامية الذى سافر الى الحجاز يبذل جهده لتقريب مدى الخلاف بالنصح والتوسط والرجاء . وفى ذلك أقطع حجة لدحض مزاعم اولئك الذين ينكرون قوة الرأى العام الاسلامى وقوة أثره فى توجيه الامم الأسلامية

وأما عن توحيد الجهود العربية فيكفى أن نتلو نصوص معاهدة الطائف لنقدر ما يترتب على تنفيذها من تنظيم لجهود الأمتين العربيتين المستقلتين فى سبيل خيرها وخير الجزيرة العربية ؛ ولنقدر ما تدلى به هذه النصوص من فهم الأمتين لما يهدد استقلالها ومصالحهما المشتركة من العوامل والدسائس الخارجية . ولا ريب أن اليوم الذى يدرك فيه العرب والمسلمون قيمة التضامن والاتحاد بصورة عملية ، هو اليوم الذى تتعثر فيه مشاريع الاستعمار وتتحطم ، ويبزغ فجر النهضة الحقيقية للعالم الاسلامى ، وتستطيع الأمم العربية والاسلامية أن تنظم جهودها لاسترداد استقلالها وحرياتها

فالى الزعيمين العربيين والى العالم الاسلامى كله نرفع خالص التهنئة على تلك الخاتمة السعيدة ؛ ونرجو أن يوفق الزعيمان الى خدمة الاسلام والعرب متصافيين متضامنين ، ومن ورائهما عطف العالم الاسلامى.

الراحة فى التغيـــير

للأستاذ احمد أمين

خلق الانسان ملولا ، يمل النعيم اذا طال ، ويمل الشقاء اذا طال ، يمل الحر اذا دام ، ويمل البرد اذا دام ، يمل الأكل الشهى اللذيذ اذا استمر عليه ، ويمل الأكل الخسيس اذا استمر عليه . وقديماً ملّ بنو إسرائيل أكل المن والسلوى ، وقالوا : « لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » . ولست أدرى لِمَ لامهم موسى عليه السلام على ذلك والملل طبيعى فى الانسان ، إلا أن تكون صيغة الطلب رذيلة مذمومة : « فادع لنا ربك » ليست الصيغة المؤدبة التى تصدر من المؤمنين .

من أجل هذا استعان الناس على درء الملل بالتنويع والتنقل ولو من حسن الى ردىء ، فاشتهوا أتفه الطعام بجانب أجوده ، واشتهوا عشش رأس البر وأكواخ أبى قير فراراً من القصور الشامخة والبنيان المشيد — وروعى هذا فى برامج الدراسة : فخط بعد لغة ، ورسم بعد حساب ، ولغة انجليزية بعد لغة عربية ، دفعاً للملل من الدرس ومن المدرس ؛ وروعى كذلك فى برنامج الحياة : فلعب بعد عمل ، ومزح بعد جد ؛ وراعت الطبيعة هذا فى برنامجها : فليل ونهار ، وحر وبرد ، وسلطان للقمر بعد سلطان للشمس وهكذا — ولولا ذلك لعرى الناس ملل لا يطاق ، ولكانت الحياة عبثاً ثقيلاً لا يحتمل ، ولفر الناس منها الى الموت طلباً للتغيير والتنويع .

***

أخطأ الناس فظنوا أن الراحة معناها الانغماس فى الكسل ، والاضراب عن العمل ، والتمدد على سرير مريح ، أو الاتكاء على كرسى مُجنّح أو نحو ذلك ؛ وليس هذا بصحيح دائماً ، ولو كان كذلك لما مل الناس هذه الراحة ، ولما فروا منها الى العمل ، واستروحوا بالجد والتعب ، إنما الراحة التغيير من حال الى حال ، من عمل الى لا عمل ، ومن لاعمل الى عمل ، ولو كان عدم العمل هو الراحة لكان السجن أروح مكان — ألا ترى الراحة تكون فى الأشياء وأضدادها باستمرار ؟ فلو ركبت سيارة من مصر الى الاسكندرية لأحسست التعب من الركوب ، وأحسست الراحة من المشى ، ولو مشيت طويلاً لأحسست التعب من المشى ، والراحة فى الركوب ؛ وما أحلى النوم بعد التعب ، وما أحلى اليقظة بعد النوم — وفى الجلوس راحة اذا طال الوقوف ، وفى الوقوف راحة اذا طال الجلوس ، وفى العمل راحة بعد طول الفراغ ، وفى الفراغ راحة بعد طول العمل ، وفى نظر الصحراء لذة بعد طول النظر الى البحر ، وفى البحر لذة بعد طول النظر الى الصحراء — ومنظر البحر أبعد عن السأم لأنه فى تغير مستمر وحركة دائمة : موجة تعلو ثم تهبط ، وموجة تتكسر على الصخر أو الرمل ، ثم تسير الى الشاطئ وتفنى ، وتتجدد أخرى وهكذا . ومنظر الأرض ليس نصيبه كذلك من التغير ، فالانسان به أسرع مللا وأقرب سأما — وهكذا كل نظام الحياة : الملل من الدوام ، والراحة فى التغيير

***

ما أصعب الحياة الرتيبة وأشقها على النفس ! إنها تميت القلب وتبعث على الخمود ، ولا بد لعلاجها من التجديد ، وليس التجديد إلا نوعاً من التغيير ، يبعث عليه السأم من القـــديم ، فاذا مل الناس الأدب القديم جدد زعماء الأدب فى الأدب . وأتوا للناس بفن جديد يستروحون به ؛ وإذا مل الناس نوعاً من النظام الاجتماعى أتى المجددون بشىء جديد ونظام جديد يذهب بالملل ويجدد النشاط ، وليس تغيير الأزياء — وخاصة عند النساء — إلا ضرباً من هذا ، هن أسرع خلق الله الى الملل ، وأدعاهم الى التغيير والتجديد ؛ فهن يطلعن على الناس كل عام بزى جديد فى القبعات والأثواب وكل ما يتصل بهن ، شعر قصير بعد شعر طويل ، وفستان طويل بعد فستان قصير ، وهكذا كثر ملالهن فكثر تغييرهن فراراً من السأم وطلباً للراحة لهن ولغيرهن

***

وأقدر الناس فى هذه الحياة من استطاع أن يتغلب على السأم والملل بالتغيير المناسب فى نفسه وفى غيره . فالأديب القدير من استطاع أن ينوع نفسه وينوع كتابته حتى لا تَمل ولا يُمل ، وخير المجلات من استطاعت أن تجدد نفسها من حين الى حين

تجديدا يتفق ومنفعة الناس ، ويتفق والرقى ؛ فتتغير فى أسلوبها وتتغير فى موضوعاتها ، وتتغير من حين لآخر فى كتابها حتى لا يسأم قراؤها ؛ وخير القادة من استطاع أن يجدد فى دعوته ، فاذا كان له مبدأ واحد يدعو اليه استطاع أن يبرزه كل يوم فى شكل جديد يستلفت النظر ، ويبعث فيه حياة جديدة تدعو الى النشاط والحركة .

وكثير من شرور هذا العالم سببه الملل ، فكسل التلميذ وانصرافه عن الدرس نوع من الملل ، وخمول الموظف وقعوده عن الجد فى العمل نوع من الملل ، والجمود السياسى والفكرى والاجتماعى نوع من الملل ، والرغبة فى الانتحار نوع من الملل ، وكثيراً ما يكون الميل الى الكيوف والادمان عليها نوعاً من الملل ، وكثيراً ما يكون الشقاق العائلى وشقاء المنزل والمشادة بين الزوجين أحياناً والأبوين وأولادهما أحياناً نوعا من الملل ، الى كثير من أمثال ذلك ، وكلها أمراض صعبة التشخيص صعبة العلاج ، تحتاج الى نوع من الطب النفسى أدق من طب الأجسام ، وتحتاج الى مهارة فى علم النفس لا تقل أهمية عن المهارة فى علوم الطب .

من أجل هذا أصبحت الحياة فنا يجب أن يدرس ، وأصبحت طريقتنا فى الحياة طريقة بالية ، وكل شىء اذا ارتقى وتعقد أصبح فنا يحتاج الى الدراسة ، وأصبحت الطريقة الساذجة فيه لا تغنى ، فأمهاتنا يربين أولادهن حسبما اتفق ، ثم أصبحت التربية فنا ، ومعلمونا كانوا يعلمون حيثما اتفق ، ثم أصبح التعليم فنا ؛ ومغنونا كانوا يغنون حسبما اتفق ، ثم صار الغناء فنا — كذلك الحياة نفسها نحياها الآن حيثما اتفق ، ولكنها تعقدت وأصبح حل عقدها يحتاج الى دراسة ودراسات — وأصبحت المرأة فى حاجة لأن تتجدد فى بيتها حتى لا يمل زوجها ، والزوج يتجدد حتى لا تمل زوجته ، والمعلم يتجدد حتى لا يمل طلبته ، ورئيس الحزب يتجدد حتى لا يمل أتباعه ، وأصحاب الملاهى يتجددون حتى لا يملوا . والتغلب على الملل ليس من الأمور الهينة ، فليس كل تغيير يصلح لازالة السأم ، إنما يصلح التغيير يوم تدرس النفس ويدرس نوع التغيير ، كما يدرس المرض ويدرس نوع العلاج ، ويكون الدواء طبق الداء ؟

عن الاسكندرية **أحمد أمين**

مسلمو السودان الغربى

يحاولون كشف أمريكا فى أوائل القرن الثامن الهجرى

للدكتور عبد الوهاب عزام

عثر كريستوف كلمب على أمريكا على غير قصد إليها ، بل كان يرجو أن يبلغ الهند من الغرب فأتيح له هذا الكشف العظيم .

وقد حاول مسلمو السودان الغربى فى أوائل القرن الثامن الهجرى أن يبلغوا الشاطىء الغربى من المحيط الاطلنطى (بحر الظلمات) برأى أسد من رأى كلمب ، وفكرة أصح من فكرته ؛ قبل كشف أمريكا بنحو قرنين .

كانت عظمى ممالك المسلمين فى السودان فى القرنين السابع والثامن بعد الهجرة بلاد مالّى ومضافاتها . وكانت تعرف فى ذلك الحين باسم بلاد التكرور . والتكرور كان أحد أقاليم هذه المملكة الواسعة .

وكان ملكهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون منسا موسى ، قال فى صبح الأعشى نقلاً عن العبر : « وكان رجلا صالحاً وملكاً عظيما له أخبار فى العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة فى أيامه الى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد . قال فى مسالك الأبصار : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه أنه فتح بسيفه أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع . »

وقد حج منسا موسى أيام الناصر بن قلاوون سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال فى صبح الأعشى نقلا عن مسالك الأبصار . « قال لى المهمندار : خرجت للتقاه من جهة السلطان فأكرمنى اكراماً عظيما وعاملني بأجمل الآداب . ولكنه كان لا يحدثنى إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربى . قال ولما قدم قدّم للخزانة السلطانية حملا من التبر ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب . وكنت أحاوله فى طلوع القلعة للاجتماع

(البقية على صفحة ١٠٤٠)

لا تجني الصحافة على الأدب
ولكن على فنيته

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قالوا إن الأصمعي كان ينكر أن يقال في لغة العرب (مالح)، ويقول إنما هو مِلح، وإن (مالح) هذه عامية، فلما أنشدوه في ذلك شعراً لذي الرمّة يحتجون به عليه قال: إن ذا الرمة قد بات في حوانيت البقالين بالبصرة زمانا. . . .

يريد شيخنا هذا: أن (المالح) في الأكثر الأعم يكون مما يبيعه البقالون، ولغتهم عامية مُزالة عن سَنَنها الفصيح، مصروفة الى وجهها التجاري. ولكن كيف بات ذو الرمة في حوانيت البقالين زماناً حتى علقت الكلمة بمنطقه وجذبه اليها الطبع العامي، ولم يخالط عربيته غير هذه الكلمة وحدها؟ لم يقل الأصمعي شيئا، ولكن روايته تخبّر أن ذا الرمة انحدر من البادية الى البصرة يلتمس ما يلتمسه الشعراء، فلما كان بها استضاق فلم يصب لجوفه غير الخبز، ولم يجد للخبز غير (المالح) يُسيغه به ليجد المسلك في حلْقه، قالوا فيأتي البقالين فيبتاع منهم السمكة (المالحة) والبقلة (المالحة)، ويعرفونه مُضيقاً الى فرج، فيُنسئون له في الثمن الى أجل، حتى يمتدح وينال الجائزة. قالوا ثم يمطره الممدوح ويلوي به ولا يرى في تلفيق العيش رُخْصاً إلا في (المالح) فيتتابع في الشراء ويمضون في إسلافه إبقاء عليه وحسنَ نظر منهم لمنزلته وشعره، ويرى هو أن لا ضمان للوفاء بما عليه إلا نفسه، فما بُدٌّ أن يتراءى لهم بين الساعة والساعة، فيخالطهم فيحدثهم فيسمع منهم، وهم على طبعهم وهو على سجيته. ثم لا يقتضونه ثمنا، ولا يزالون يعدون له، فلا يزال (المالح) أيسر منالاً عليه، كما هو الى نفسه أشهى، وفي جوفه أمرأ، لمكان أعرابيته، وخشونة عيشه، فيصيب عندهم مرتعة من هذا (المالح). قالوا ثم يرى البقالون أن لا ضمان لما اجتمع عليه إلا أن يكون الشاعر معهم، فيلزمونه الحوانيت بياض يومه، ويغلقونها عليه سواد ليلته، فهم يمسكونه بالنهار، وتمسكه الحيطان والأبواب بالليل.

فلما عظم الدين وبلغ الجملة التي فاتت حساب الأيام الى حساب الأهلة أحضر الشاعر كربه وهمه، ولم يعد (المالح) ينجع فيه، ولا يجد به غذاء بل حريقاً في الدم، ورأى أنه قد امتحن بهذا (المالح) الخبيث، وأشرط نفسه فيه، وارتهنها به، فلا يزال من (المالح) هم في نفسه، ومغص في جوفه، ولفظ على لسانه، ودين على ذمته؛ ولا يزال مهموماً به، إذ كان على طريق من طريقين: إما الوفاء ولا قدرة عليه من مفلس، وإما الحبس ولا طاقة به لشاعر. وحَبْس ذي الرمة في ثمن (المالح) هو حبس عند الشرطة، ولكنه قتل أو شر من القتل عند صاحبته ميّة إذا ترامى اليها الخبر، والأعرابي الجلف الذي يحبس في ثمن (مالح) عند الوالي بعد أن بات زماناً رهناً به في حوانيت البقالين لا يصلح عاشقاً لميّ، وهي مَن هي! «لها بشر مثل الحرير، ومنطق رخيم الحواشي» فلا (المالح) من غذائها، ولا لفظ (المالح) من الكلام الذي يكون في فمها العذب. وأبعد الله جاريتها الزنجية إن لم تأنف لنفسها ومكانها من عشق هذا الأعرابي الغليظ الخشن الذي ألحقه (المالحُ) باللصوص والعارمين، وأخزاها الله إن لم يكن عشق هذا الأعرابي لها سواداً على سوادها في الناس، فكيف بمي وهي أصفى من المرآة النقية، وأبيض من الزهرة البيضاء؟

قالوا: ويصنع الله لغيلان المسكين، فيمدح وينافق ويحتال، ويعده الممدوح بالجائزة إذا غدا عليه، ويكون ذلك والشمس نازلة الى خدرها، فينكفئ الشاعر الى حوانيت غرمائه من البقالين يبيت فيه أخرى لياليه، ويغلقون عليه وقد سئموه آكلاً وماطلاً، وهان عليهم فلا يعتدونه إلا فأراً من فئران حوانيتهم، غير أنه يأكل فيستوفي، ولم يعد اسمه عندهم ذا الرمة، بل ذا النقمة ... فلم يعطوه لعشائه هذه المرة إلا مافسد وخبث من عتيق (المالح)، فهو نتن يسمى طعاما، وداء يباع بثمن، وهلاك يحمل عليه الاضطرار كما يحمل على أكل الجيفة، وكانوا قد وضعوه في آنية قذرة مُتلجّنة طال عهدها بالغسل والنظافة، وفيها بقية من عفن قديم، فلصق بها مالصق، وتراكب عليها ما تراكب، ووقع فيها ما وقع.

ثم يتهيأ الشاعر لصلاة العشاء يرجو أن تناله بركتها فيستجيب الله له ويفرّج عنه، وقد كان لديه قدح من الماء لوضوئه، ولكن (المالح) الذي تغدى به كان قد أحرق جوفه وأضرم على

أحشائه وهو فى صيف قائظ ، فما زال يطفئه بالشربة بعد الشربة ، والمصة بعد المصة ، حتى اشتف القدح وأتى عليــه ، فيكسل عن الصلاة ويلعن (المالح) وما جر عليــه . ثم يعضه الجوع فيكسر خبزته ويسمى ويغمس اللقمة ثم يرفعها فيجد لها رائحة منكرة ، فينظر فى الآنية وقد نفذ اليه الضوء من قنديل الحارس فاذا فى (المالح) خنفساء قد انفجرت شبعاً ، ويدقق النظرة فاذا دويبـة أخرى قد تفسخت وهرأها (المالح) وفعل بها وفعل . قالوا وتثب نفسه الى حلقه ولا يرى الطاعون والبلاء الأصفر والأحمر إلا هذا (المالح) فيتحول الى كوة الحانوت يتنسم الهواء منها ويتطعم الروح وهى مضبَّبة بالحديد ، ولا يزال يراعى منها الليل ويقدره منزلة منزلة بحساب البادية ، وهو بين ذلك يلعن (المالح) عدد ما يسبح العابد القائم فى جوف الليل . ويطول ذلك عليه حتى إذا كاد ينشق لمع الفجر لعينه فلا يراه الشاعر إلا كالغدير يتفجر بالماء الصافى ويود لو انصب هذا الضوء فى جوفه ليغسله من (المالح) وأوضار (المالح). ثم يأتى الله بالفرج وبصاحب الحانوت فيفتح له ، ويغدو ذو الرمة على الممدوح فيقبض الجائزة وينقلب الى حوانيت البقالين فيوفى أصحابها ما عليه ولا يبقى معه إلا دراهم معدودة ، فيخرج من البصرة على حمار اكتراه وقد فتحت له آفاق الدنيا ، وكأنما فرّ من موت غير الموت ، ليس إسمه البوار ولا الهلاك ولا القتل ، ولكن اسمه (المالح) .

قالوا : ويحركه الحمار للشعر كما كانت تحركه الناقة فيقول : أخزاك الله من حمار بصرى ، إن أنت فى المراكب إلا (كالمالح) فى الأطعمة . ثم يغلبه الطبع ، وينزو به الطرب ، وتهزه الحياة فيهتاج للشعر ويذكر شوقه وحبه ودار مَىّ ، وفى (عقله الباطن) حوانيت وحوانيت من (المالح) ، فيأتى هذا (المالح) فى شعره ويدخل فى لغته فيقول الشعر الذى أهمل الأصمعى روايته لأن فيه (المالح) ، وما أدرى أنا ما هو ، ولكن لعله مثل قول الآخر :

ولو تفلت فى البحر والبحر (مالح)
لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا

أو مثل قول القائل :

بصرية تزوجت بصريا   يطعمها (المالح) والطريا

* * *

هذه هى الرواية التمثيلية التى تفسر كلام الأصمعى ولا مذهب عنها فى التعليل اذا صار (المالح) كلمة نفسية فى لغة ذى الرمة على رغم أنف الأحمر والأسود ، والأصمعى وأبى عبيدة ، فالرجل من الحجج فى العربية إلا فى كلمة (المالح) فانه هنا عامى بقال حوانيتى نزل بطبعه على حكم العيش ، وغلبه ما لا بد أن يغلب من تسلط (واعيته الباطنة)(١)

والحكمة التى تخرج من هذه الرواية أن أبلغ الناس ينحرف بعمله كيف شاءت الحرفة ، ولا بد أن تقع المشابهة بين نفسه وعمله ، فربما أراد بكلامه وجهاً وجاء به الهاجس على وجه آخر. واذا كان فى النفس موضع من مواضعها أفسده العمل — ظهر فساده فى الذوق والادراك فطمس على مواضع أخرى ، فلا تنتظر من صحافى قد ارتهن نفسه بحرفة الكلام ألا يكون له فى الأدب والبلاغة (مالح) كمالح ذى الرمة وان كان أبلغ الناس لا أبلغ كتاب الصحف وحدهم .

و (المالح) الذى رأيناه لكاتب بليغ من أصحابنا أنه كتب فى إحدى الصحف عن ديوان هو فى شعر هذه الأيام كالبعث بعد موت شوقى وحافظ رحمهما الله ، فيأتى بالمجاز بعد الاستعارة بعد الكناية مما قاله الشاعر ثم يقول : هذا عجيب تصوره ، لا أعرف ماذا يريد ، البِلى للشعاع غير مقبول . ولا يزال ينسحب على هذه الطريقة من النقد ثم يعقب على ذلك بقوله : «والأصل فى الكتابة أنها للافهام ، أى نقل الخاطر أو الاحساس من ذهن الى ذهن ومن نفس الى نفس ، ولا ســبيل الى ذلك اذا كانت العبارة يتعاورها الضعف والابهام والركاكة وقلة العناية بدقة الأداء ، واذا كنت تستعمل اللفظ فى غير موضعه ولغير ما أريد به ، فكيف تتوقع منى أن أفهم منك . »

لا ، لا ، هذا (مالح) من مالح الأدب ، فاذا كان الضعف والابهام والركاكة وسوء الافهام وضعف الأداء — آتية فى رأى الكاتب من استعمال اللفظ فى غير موضعه ولغير ما أريد له — فان محاسن البيان من التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ليس لها

---

(١) وضعنا هذه الكلمة لما يسمى (العقل الباطن) وهى أدق فى التعبير تستوفى كل معانى الكلمة ، ولا معنى لأن يكون هناك عقل ، ثم يكون باطناً غافلاً فان هذا بعيد لا يسوغه الاشتقاق .

مأتى كذلك الا استعمال اللفظ فى غير موضعه ولغير ما أريد له .

وعلى طريقة الكاتب كيف يصنع فى قوله تعالى : « وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

أتراه يقول : كيف قدم الله ، وهل كان غائباً أو مسافراً ، وكيف قدم الى عمل ، وهل العمل بيت أو مدينة ؟

ثم كيف يصنع فى هذه الآية : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك » أيسأل : وهل للأرض حلق تحركه عضلاته للبلع ، واذا كان لها حلق أفلا يجوز أن ترمى فيه فتحتاج الى غرغرة وعلاج وطب ؟

وماذا يقول فى حديث البخارى : إنى لأسمع صوتاً كأنه صوت الدم ، أو صوتاً يقطر منه الدم (كما فى الأغانى) » أيوجه الاعتراض على الصوت وجرحه ودمه ، ويسأل : بماذا جرح ، وما لون هذا الدم ، وهل للصوت عروق فيجرى الدم فيها ؟

إن الافهام ونقل الخاطر والاحساس ليست هى البلاغة وإن كانت منها ، وإلا فكتابة الصحف كلها آيات بينات فى الأدب ، إذ هى من هذه الناحية لا يقدح فيها ولا يغض منها ، وما قصرت قط فى نقل خاطر ولا استغلقت دون افهام .

ههنا خوان فى مطعم كمطعم (الحاتى) مثلاً عليه الشواء والملح والفلفل والكواميخ أصنافاً مصنفة ، وآخر فى وليمة عرس فى قصر وعليه ألوانه وأزهاره ومن فوقه الأشعة ومن حوله الأشعة الأخرى من كل مضيئة فى القلب بنور وجهها الجميل . أفترى السهولة كل السهولة إلا فى الأول ؟ وهل التعقيد كل التعقيد إلا فى الثانى ؟ ولكن أى تعقيد هو ؟ إنه تعقيد فنى ليس إلا ، به ينضاف الجمال الى المنفعة فتجتمع الفائدة والاستمتاع وتزين المائدة والنفس معاً ، وهو كذلك تعقيد فنى لاءم بين إبداع الطبيعة وإبداع الفكر وجاء بروح الموسيقى التى يقوم عليها الكون الجميل فبثها فى هذه الأشياء التى تقوم بها المائدة الجميلة ، واستنزل سر الجاذبية فجعل للمائدة بما عليها شعوراً متصلاً بالقلوب من حيث جعل للقلوب شعوراً متصلاً بالمائدة .

وهذا التعقيد الذى صور فى الجماد دقة فن العاطفة هو بعينه فنية السهولة وروحيتها . وتلك السذاجة التى فى المائدة الأخرى هى السهولة المادية بغير فن ولا روح ، وفرق بينهما أن احداها تحمل قصيدة رائعة من الطعام وما يتصل به ، والأخرى تحمل من الطعام وما يتصل به مقالة كمقالات الصحف .

والوجه فى الشوهاء وفى الجميلة واحد لا يختلف بأعضائه ولا منافعه ، ولا فى تأديته معانى الحياة على أتمها وأكملها ، بيد أن انسجام الجميل يأتى من إعجاز تركيبه وتقدير قسماته وتدقيق تناسبه، وجعله بكل ذلك يظهر فنه النفسى بسهولة منسجمة هى فنيته وروحيته ؛ أما الآخر فلا يقبل هذا الفن ولا يظهر منه شيئاً إذ كان قد فقد التدقيق الهندسى الذى هو تعقيد فن التناسب ، وجاء على المقاييس السهلة من طويل الى قصير ، الى ما يستدير وما يعرض ، الى ما ينتأ من هنا وينخسف من هناك ، كالوجنة البارزة، والشدق الغائر ، فهذه السهولة المطلقة فى الوضع كما يتفق هى بعينها التعقيد المطلق عند الفن الذى لا محل فيه للفظة (كما يتفق) .

والطريقة التى يكون بها الجمال جميلاً هى بعينها الطريقة التى يكون بها البيان بليغاً ، فالمرجع فى اثنيهما الى تأثيرها فى النفس . وأنت تقل : إن هذا مفهوم وهذا غير مفهوم ، وذاك سهل والآخر معقد ، وواضح ومغلق ، ومستقيم على طريقته ومحول عن طريقته . انك فى ذلك لا تدل على شىء تعيبه أو تمدحه فى الجمال أو البلاغة أكثر مما تدل على ما يمدح أو يعاب فى نفسك وذوقها وإدراكها .

ومعانى الاختلاف لا تكون فى الشىء المختلف فيه ، بل فى الأنفس المختلفة عليه ، فان محالاً أن تكون الجميلة ممدوحة مذمومة لجمالها فى وقت معاً ، وإلا كانت قبيحة بما هى به حسناء ، وهذا أشد بعداً فى الاستحالة ، وحكمك على شىء هو عقلك أنت فى هذا الشىء .

ومتى اتفق الناس على معنى يستحسنونه وجدت دواعى الاستحسان فى أنفسهم مختلفة ، وكذلك هم فى دواعى الذم اذا عابوا . ولكن متى تعينت الوجوه التى بها يكون الحكم ، ورجع اليها المختلفون ، والتزموا الأصول التى رسمتها وتقررت بها الطريقة عندهم فى الذوق والفهم فذلك ينفى أسباب الاختلاف لما يكون من معانى التكافؤ وخاصة المناسبة . ولهذا كان الشرط فى نقد البيان أن يكون من كاتب مبدع فى بيانه لم تفسده نزعة أخرى ، وفى نقد الشعر أن يكون من شاعر علت مرتبته وطالت ممارسته لهذا الفن فليس له نزعة أخرى تفسده .

وما المجازات والاستعارات والكنايات ونحوها من أساليب

البلاغة إلا أسلوب طبيعي لامذهب عنه للنفس الفنية ، إذ هي بطبيعتها تريد دائماً ما هو أعظم ، وما هو أجمل ، وما هو أدق . وربما ظهر ذلك لغير هذه النفس تكلفاً وتعسفاً ووضعاً للأشياء في غير مواضعها ؛ ويخرج من هذا أنه عمل فارغ ، واساءة في لتأدية ، وتمحل لا عبرة به . ولكن فنية النفس الشاعرة تأبى إلا زيادة معانيها فتصنع ألفاظها صناعة توليها من القوة ما ينفذ الى النفس ويضاعف احساسها ، فمن ثم لا تكون الزيادة في صور الكلام وتقليب ألفاظه وإدارة معانيه إلا تهيئة لهذه الزيادة في شعور النفس . ومن ذلك يأتي الشعر دائماً زائداً بالصناعة البيانية لتخرجه هذه الصناعة من أن يكون طبيعياً في الطبيعة الى أن يكون روحانياً في الانسانية . والشعور المهتاج المتفزز غير الساكن المتبلد ، والبيان في صناعة اللغة يقابل هذا النحو ، فتجد من التعبير ما هو حي متحرك ، وما هو جامد مستلق كالنائم أو كالميت ، وبهذا لا تكون حقيقة المحسنات البيانية شيئاً أكثر من أنها صناعة فنية لابد منها لاحداث الاهتياج في ألفاظ اللغة الحساسة كي تعطي الكلمات ما ليس في طاقة الكلمات أن تعطيه .

لقد تكلموا أخيراً في جناية الصحافة على الأدب . والصحافة عندي لا تجني على الأدب ولكن على فنيته ، فلها من الأثر على سليقة البليغ وطبعه قريب مما كان لحوانيت البقالين في البصرة على طبع ذي الرمة وسليقته . وكلما قرب الصحافي من الصنعة وحقها على الجمهور بعد عن الفن وجماله وحقه على النفس ، وهذا واضح بلا كبير تأمل ، بل هو واضح بغير تأمل . . .

مصطفى صادق الرافعي

نزع السلاح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

سمعنا خلال الأعوام الأخيرة كثيراً عن مسألة نزع السلاح ، وعن اللجان والمؤتمرات العديدة التي عقدت في جنيف وغير جنيف لبحثها ؛ ومنذ أسابيع يدور حديث نزع السلاح في جنيف مرة أخرى، وتعرض مختلف الاقتراحات والتصريحات . ولكن مؤتمر نزع السلاح يعقد هذه المرة في جو قاتم يفيض بالتشاؤم ، وسير العلائق الدولية أشد ما يكون اضطراباً ، والدول الكبرى أشد ما يكون رغبة في التسليح ؛ وليس في مناقشات جنيف ما يؤذن بتفاهم الدول على أية قاعدة أو مبدأ ، بل كل ما هنالك يدل بالعكس على أن مفاوضات نزع السلاح غدت مناقشات فقهية عقيمة ، تستتر وراءها الدول لتؤكد من الوجهة النظرية نياتها السلمية ، بينا هي تتسابق جميعاً في فتح الاعتمادات الحربية والاستزادة من التسليح سواء في البر أو البحر أو الهواء .

وقد كان رأينا دائماً ، مذ بدأت أعمال مؤتمر نزع السلاح ، أن هذه المناقشات الفقهية لا يمكن أن تؤدي الى أية نتيجة عملية ، وان الدول المتفوقة في سلاحها وأهباتها الدفاعية لا يمكن أن تفرط في هذا التفوق مختارة ، وان أساليب السياسة القومية لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل الحرب ، وما زالت القوة المادية عمادها . ولقد انتهى مؤتمر نزع السلاح أحياناً الى بعض نتائج عملية خيل للعالم معها أنه سائر الى تحقيق الغاية المنشودة من عقده ، ولكن هذه النتائج لم تتعد الاتفاق على بعض المسائل التمهيدية كأنواع الأسلحة ومعيارها ، وتعريف بعض الهيئات العسكرية ؛ وأسفرت المفاوضات بين الدول العظمى عن عقد معاهدة تحدد نسب التسليح البحري بينها ، ولكن هذه المعاهدة لم تحترم ولم تنفذ ، ولا تعتبر اليوم سوى قصاصة ورق لا قيمة لها . وقدمت الى مؤتمر نزع السلاح اقتراحات رسمية عديدة لتخفيض التسليح ، فكانت تقابل دائماً حين عرضها ومناقشتها بكثير من التأييد والحماسة ، ولكنها لم تسفر عن أي اتفاق عملي .

كانت فكرة نزع السلاح من أجل الفكر التي ظهرت عقب

الحرب فى أفق السياسة الدولية ، وكانت المنافسة فى التسليح قد بلغت أثناء الحرب مدى هائلاً استنفد موارد الأمم ، وحطم انتاجها الزراعى والصناعى ، وأرهقت من جرائه بصنوف المغارم والاعباء ، واضطربت أحوالها المالية والاقتصادية ؛ فكان طبيعياً أن تفكر الدول الكبرى فى وسيلة لتخفيف هذه المنافسة وتدارك آثارها المخربة ؛ ولم تك ثمة سوى وسيلة واحدة لتحقيق هذه الغاية ، هى اتفاق الدول فيما بينها على تحديد التسليح بطريقة تراعى فيها ظروف كل دولة وحاجتها الى السلامة والدفاع القومى ؛ وظهرت هذه الفكرة فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه فكرة عصبة الأمم ، واتصلت بها حتى صارت بعد جزءاً منها ، ثم أدمجت فى ميثاق العصبة ذاته . وكان قيام عصبة الأمم رمزاً لانتصار الدعوة الى السلام والوئام بين الأمم ، والى تغليب التحكيم والحسنى فى فض المنازعات الدولية ؛ وكان تحقيق فكرة نزع السلاح من أهم الوسائل العملية لتحقيق المثل والأمانى السلمية التى علقت على قيام عصبة الأمم . ويجب أن نعلم أن ميثاق العصبة هو قطعة من معاهدة صلح فرساى ذاتها ، بل هو الفصل الأول من معاهدة الصلح ؛ وفى هذا الميثاق ذاته يذكر مشروع نزع السلاح أكثر من مرة ، باعتباره من وسائل تحقيق السلام بين الأمم . واليك النصوص التى وردت بشأنه فى الميثاق :

نصت المادة الثامنة من ميثاق عصبة الأمم على « أن أعضاء العصبة يعترفون بأن استتباب السلام يقتضى تخفيض التسليحات القومية الى أدنى حد يتفق مع السلامة القومية ، ومع تنفيذ التعهدات الدولية التى يفرضها العمل المشترك

« ومجلس العصبة مع تقديره للمركز الجغرافى والظروف الخاصة لكل دولة ، يعد برامج هذا التخفيض لتبحثه وتبت فى شأنه الحكومات المختلفة

« ويجب أن تبحث هذه البرامج من جديد ، وأن تنقح اذا اقتضى الأمر فى كل عشرة أعوام

« ومتى وافقت عليها الحكومات المختلفة فان نسب التسليح التى تقررت على هذا النحو لا يمكن تخطيها دون موافقة مجلس العصبة

« ولما كان صنع الذخائر وأدوات الحرب بصفة خاصة يثير اعتراضات خطيرة ، فان أعضاء العصبة يعهدون الى المجلس بأن يتخذ الاجراءات اللازمة لتلافى نتائجه السيئة ، مع مراعاة حاجات أعضاء العصبة الذين لا يستطيعون صنع ما يجب لسلامتهم من الذخائر وأدوات الحرب

« ويتعهد أعضاء العصبة بأن يتبادلوا بمنتهى الصراحة والدقة ، كل البيانات المتعلقة بنسب تسليحاتهم ، وبرامجهم الحربية والبحرية والجوية ، والظروف التى يمكن بها استخدام صناعاتهم لأغراض الحرب »

تلك هى القواعد الأساسية التى أدمجت فى ميثاق العصبة بشأن نزع السلاح أو تخفيضه . وقد نصت المادة التاسعة من الميثاق على انشاء لجنة دائمة تمد العصبة بآرائها عن تنفيذ هذه القواعد وعن المسائل العسكرية والبحرية والجوية بصفة عامة . وهذه هى اللجنة الدائمة لمؤتمر نزع السلاح .

ونصت المادة الحادية عشرة على ان كل حرب أو خطر حرب يهم العصبة كلها ، وعلى انه يجب عليها فى هذه الحالة أن تتخذ ما يجب لتأييد سلام الأمم ؛ ونصت المادة الرابعة عشرة على انشاء محكمة دائمة للعدل الدولى ، وفصلت المادة الخامسة عشرة الاجراءات السلمية التى يجب اتباعها لتسوية المنازعات الدولية بين أعضاء العصبة

هذا وقد ذهبت معاهدة الصلح فى التنويه بنزع السلاح الى أبعد من هذه النصوص النظرية ، وأرادت أن تعطيه صبغة عملية ، فقررت فى ديباجة الفصل الخامس منها وهو الخاص بنزع سلاح المانيا « انه لكى يمكن أن يعد مشروع بتحديد عام لتسليحات جميع الأمم ، يجب على المانيا أن تنفذ بمنتهى الدقة ما تقرر من النصوص العسكرية والبحرية والجوية » أو بعبارة أخرى ، جعلت معاهدة الصلح ، نزع سلاح المانيا مقدمة عملية لنزع السلاح العام ، تحذوها بعد المانيا جميع الدول الأخرى ، والمفروض أن الدول الظافرة التى أملت شروط معاهدة فرساى ، ونصت على نزع السلاح ، ستكون فى مقدمة الدول التى تقوم بتخفيض سلاحها

***

وكان مشروع نزع السلاح فى مقدمة المسائل التى عنيت ببحثها عصبة الأمم ؛ ففى فبراير سنة ١٩٢١ ، انتدب مجلس العصبة « لجنة مختلطة مؤقتة » للنظر فى تخفيض التسليحات ، ولكن هذه اللجنة الأولى لم تستطع أن تتخذ أية خطوة عملية لبحث

المسألة ؛ وكانت الدول الغالبة ما تزال متوترة الأعصاب بعيدة عن التفكير فى النزول عن المراكز الممتازة التى دفعها اليها الظفر ؛ وكانت بالعكس قد بدأت تتسابق فى وضع البرامج العسكرية والبحرية الضخمة ؛ فلم تر « اللجنة المختلطة المؤقتة » أمامها سبيلاً للعمل ، وقدمت تقريرها الى العصبة بأنه لاسبيل لوضع أى مشروع عملى لتخفيض التسليح ما لم تراع فيه حاجات السلامة القومية بادئ بدء ، ثم وضعت فعلاً مشروع ضمان وتعاون متبادل وافقت عليه العصبة . ولكنها كانت خطوة نظرية أيضا ؛ وكان أسطع دليل على عبثها وعقمها إقدام فرنسا فى الوقت نفسه على احتلال وادى الروهر لارغام ألمانيا على أداء تعويضات الحرب ، وماقامت به يومئذ من المظاهرات العسكرية الضخمة . بيد أن الدول البحرية استطاعت أن تتخذ من جانبها خطوة عملية لتحديد التسليحات البحرية ، إذ عقدت فى واشنطون (سنة ١٩٢٢) مؤتمراً بحريا شهدته بريطانيا العظمى وأمريكا وفرنسا واليابان وإيطاليا ، وعقدت فيا بينها ميثاقاً حددت فيه نسب التسليحات البحرية لكل منها ؛ فكان لهذا الميثاق أثر كبير فى تلطيف المنافسة البحرية بينها .

ولما هدأت أعصاب الأمم الغالبة نوعاً وسوى كثير من المشاكل التى خلفتها الحرب ، اتخذت مسألة نزع السلاح أهمية خاصة ، ولكنها قرنت يومئذ بمسألة السلامة القومية والتحكيم باعتبارها مسائل ثلاثة لا يمكن التفريق بينها . وكانت فرنسا دائماً من أشد الدول تمسكاً بالجمع بين المسائل الثلاثة . وأخذت عصبة الأمم بهذه النظرية ، وانتهت الى وضع بروتوكول جنيف الشهير (سنة ١٩٢٤) ، وفيه نص على مشروعية الحرب إلا فى بعض الأحوال وعولجت مسألة السـلامة ومسألة التحكيم ؛ ولكنه رفض من جانب بريطانيا العظمى لأنه لم يعالج مسألة نزع السلاح ، ونص من جهة أخرى على جعل عصبة الأمم هيئة دولية لرقابة التسليح نزولا على النظرية الفرنسية ؛ وفى سنة ١٩٢٥ عقد ميثاق لوكارنو لتأمين منطقة الرين بين ألمانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى وإيطاليا ، وحلت بذلك مسألة السلامة القومية نوعا ، ولكن الميثاق كان محدود المدى والآثار ، ولم يتعرض بشىء لمسألة نزع السلاح . بيد أن عقده كان عاملاً كبيراً فى صفاء الأفق الدولى ، والتقريب بين ألمانيا والحلفاء ، وبث روح من التفاهم بين خصوم الأمس لم تعرف منذ معاهدة الصلح .

وكان هذا التفاهم مشجعاً لعصبة الأمم على التقدم فى معالجة مشكلة نزع السلاح ، خصوصاً بعد أن انضمت ألمانيا الى العصبة . ففى سنة ١٩٢٦ انتدبت العصبة لجنة تمهيدية لتنظيم مؤتمر عالمى لنزع السلاح ؛ وأنفقت هذه اللجنة جهوداً كبيرة فى بحث المسائل الفنية المتعلقة بأنواع الأسلحة والذخائر وعدد الجيوش والجمعيات العسكرية . وبدئ منذ العام التالى بعقد مؤتمر السلاح الذى استمر يعقد كل عام مرة أو أكثر حتى يومنا . ومن المستحيل أن نتتبع فى هذا المقام الضيق أعمال مؤتمر نزع السلاح خلال الأعوام الأخيرة ، فهى فى الواقع أعمال ومفاوضات تسير فى دور لا ينتهى . ويكفى أن نقول إنه قدم الى المؤتمر عشرات المشاريع من مختلف الدول لتخفيض التسليح أو نزعه ، وبحثت مسألة السلامة وعدم الاعتداء مرارا ، وألقيت وعود وتصريحات لا نهاية لها من مختلف الدول ، وفى كل مرة تنتهى الجهود والمفاوضات المستفيضة بالفشل المطلق ، وفى كل مرة نشعر بحق أن مؤتمر نزع السلاح قد اختتم حياته . وانتهى مؤتمر نزع السلاح الذى عقد فى لندن سنة ١٩٣٠ الى نتيجة ضئيلة هى عقد اتفاق جديد بين بريطانيا العظمى وأمريكا واليابان على تخفيض التسليح البحرى فى حدود معينة ، وأبت فرنسا وإيطاليا أن تدخلا فى هذا الاتفاق لتمسك ايطاليا بالمساواة مع فرنسا ، وتمسك فرنسا بتفوقها فى نسب التسليح البحرى .

***

وفى العامين الأخيرين دخلت مسألة نزع السلاح فى دور جديد ، وزادت تعقيداً وصعوبة ، أولاً لأن ألمانيا بعد طول التسويف فى نزع السلاح رأت من حقها أن تطالب بالمساواة فى التسليح بالاعتماد على نصوص معاهدة الصلح ذاتها إذ اعتبرت تجريد ألمانيا من السلاح مقدمة لنزع السلاح العام كما قدمنا ، وما دامت الدول لم تقم بتعهداتها فى هذا الشأن فمن حق ألمانيا أن تعود الى تسليح نفسها كباقى الدول ؛ وثانياً لأن فرنسا ازدادت تمسكا بنظريتها فى جعل حل مسألة نزع السلاح متوقفاً على حل مسألتى السلامة القومية والضمان المتبادل بعدم الاعتداء . وقد اشتد الخلاف بين ألمانيا وفرنسا فى العام الماضى الى حد رأت معه ألمانيا أن تنسحب

من عصبة الأمم ومن مؤتمر نزع السلاح حتى تجاب الى وجهة نظرها . وبدأت ألمانيا بالفعل بتسليح نفسها رغم احتجاج فرنسا ؛ ودبت روح جديدة من المنافسة بين الدول فى تقرير الاعتمادات العسكرية وزيادة التسليحات ؛ وحاولت إيطاليا وبريطانيا غير مرة أن تقوم كلتاهما بمهمة الوساطة وتذليل الخلاف بين فرنسا وألمانيا ، فذهبت جميع الجهود سدى . وعقد مؤتمر نزع السلاح فى خريف العام الماضى فى جو قاتم يفيض بالتشاؤم ، وظهر منذ المناقشات الأولى أنه يستحيل أن يوفق المؤتمر الى شىء جديد ، فأجل ليتفادى الموت النهائى . وعقد هذا العام ، منذ أسابيع قلائل ، وعدنا نسمع الحوار العقيم بين مختلف المندوبين ؛ وما زالت ألمانيا خارج المؤتمر ، ومازالت فرنسا تؤكد إصرارها على تحقيق الضمانات المتعلقة بالسلامة القومية قبل اتخاذ أية خطوة فى سبيل نزع السلاح .

لقد استمرت هذه الجهود والمفاوضات العقيمة فى سبيل نزع السلاح أكثر من عشرة أعوام ؛ وربما استمرت حيناً آخر . ولكن المحقق أن مؤتمر نزع السلاح صائر الى موت لا ريب فيه ، وانه لم يكن قط أبعد عن غايته مما هو اليوم . ويرجع هذا الفشل قبل كل شىء الى موقف فرنسا وألمانيا ؛ فقد جردت ألمانيا من سلاحها طبقاً لمعاهدة الصلح وانتظرت أعواماً طويلة ، وفرنسا وباقى الدول تجد فى تسليح نفسها ، ولم تتقدم أعمال مؤتمر نزع السلاح تقدماً يذكر ؛ وكانت فرنسا باصرارها خلال هذه الأعوام هى الصخرة التى تحطمت عليها كل الجهود التى بذلت فى هذا السبيل ؛ ولكن ألمانيا الهتلرية جاءت بسياستها العنيفة فزادت المسألة حرجاً وتعقيدا ، وألفت فرنسا فى تلك الروح العسكرية التى يبثها النظام الهتلرى فى ألمانيا ، وفى تلك المظاهرات العنيفة التى تجرى فى ظله ، وفى ذلك الوعيد الذى يلقيه زعماء ألمانيا الحاليين هنا وهنالك ، ما يبرر موقفها فى التمسك بسياستها العسكرية والمطالبة بتأمين سلامتها ضد الخطر الألمانى .

وهكذا بينما يمضى مؤتمر نزع السلاح فى جدله العقيم ، اذا بالمنافسة فى التسليح بين الدول العظمى تبلغ ذروة الاضطرام ، واذا بسياسة المعاهدات السرية العسكرية تعود فتغدو سبيل التوازن الأوربى ، واذا بشبح الحرب يلوح بين آونة وأخرى ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

عتاب

بقلم محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

كان النبى صلى الله عليه وسلم يود لو أنهم أسلموا ليعتز بهم الاسلام ، ويدعو الله أن يهبه من لدنه حكمة لعله يصرفهم عن الضلالة أو يجعلهم من المهتدين ؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم حريصاً على إسلامهم ملحا فيه ، لأن أشخاصهم عند قريش مهيبة ، وأسماءهم عند العرب رفيعة ؛ فلما دخل عليهم وقد اجتمعوا عنده ، حياهم فردوا عليه تحيته ، مخلصين أو غير مخلصين ، ثم أخذ مكانه بينهم ، فكان صمت ، وكان جلال رهيب ، ولم يلبث أن سرى بين الجمع صوت مهيب ، فيه قوة لأنه صوت الحق ، وفيه إيمان لأنه وحى القلب ؛ وكان الصوت متجهاً نحو عتبة بن ربيعة وأخيه ، يقول : أما آن ياعتبة أن تدخل أنت وأخوك شيبة فى دين الله ؟ ما دعوتكما لأمرى ولا لشىء هو من عندى ، وإنما دعوتكما لأمر الله رب العالمين ؛ وهذا كلامه بين يدى فاستمعاه واصغيا اليه لعله تعالى يهديكما فتكونا من عباده المسلمين . ولكن عتبة وأخاه لم يلبثا أن جادلاه فجادلهما ، وأخذ النبى منهما وأخذا منه ، حتى اذا غلبهما الرسول بمنطقه وقوة حجته ، لم يلبثا أن عقد الصمت لسانهما ، فالتفت النبى الى العباس بن عبد المطلب وكان مصغياً يستمع الى قوله لابنى ربيعة ، وقال له إنك يا ابن عبد المطلب لو اهتديت بهدى الاسلام وأنت من صناديد قريش لاهتدى معك جمع كثير ، فلا تكونن بصدك عن دين الله حائلاً بين الناس والجنة ، ولا تضربن لقريش مثلاً من الغى والضلال ، فتضل وتضل ، وأنت حرى أن يكون لهم منك هاد معين . فلم يرفع العباس رأسه ولم تتحرك له شفتان ، وإنما ود لو أن النبى تركه الى الوليد بن المغيرة أو الى أمية بن خلف ، فلما شعر النبى أن العباس حائر بين عقله وعاطفته ، ورآه مطرقاً الى الأرض ، لم يلبث أن تحول عنه الى أمية بن خلف ، قال : يا أمية ، ما كان لسادة الناس أن يكفروا بسيد العالمين ، الله الذى فضلهم على عشيرتهم وذوى قرباهم ، وما كان لك أن تكون لقومك قدوة سوء ، لعمر الله

ليس بعـد الـكفر ذنب . وما ينبغي لك أن ترغب عن دعوة الله وتصد قومك عن الدين بإعراضك عنه . قال يا محمد أمهلني يوماً أو بعض يوم ، فان الأمر أعسر عنـــدى من يسره لديك . واتجه الرسول الى أبي جهل بن هشام وكان يجلس بجوار الوليد بن المغيرة ، فقال لهما وقد دنا منهما : أيحق لـكما أن تسبقا الناس فى الدنيا حتى إذا كانت الآخرة كنتما آخر الناس عند الله ؟ ، والله مالكما فى آلهتكم غناء ، وما كنتما لتجعلا رضى الشيطان فى عصيان الله . ولـكن أبا جهل لم يكن ليصبر كما صبر العباس ، أو يسكت كما سكت ، وإنما جادل النبي فى عنف ، فجادله النبي فى لين ، وآثر أبو جهل الحدة ، ولم يكن النبي ليحتد . واتجه الرسول الى القوم جاداً فى دعوتهم ، ملحا فى إقناعهم ، يمنيهم بالوعود يوم الدين ، ويحذرهم عاقبة الـكفر يوم القيامة ، وأخذ النبي يفيض عليهم من بيانه ، ويشع على القوم قبساً من إيمانه ، حتى أقبل الـكل عليه يستمعون له ويصغون اليه ، وبينما النبي يدعوهم فينصرف الى الدعوة بكل إيمانه ، كان يسعى اليـه رجل يتوكأ على عصاه يتحسس بها الطريق اليه حتى اذا بلغ مجلس النبي لم يستمع اليـه ولم يلق بالاً الى قوله ، ولم يدر أن النبي يدعو صناديد قريش الى ما دعا الله ، وإنما بادر النبي يسأله أن أقرئني وعلمني مما علمك الله ؛ وكان النبي عنه فى شغل ، وكان ضيوف النبي قد تلهوا عنه بما هم فيه ، فلم يلتفت اليه أحد ، ولم يرد عليه مجيب ؛ فقال أقرئني وعلمني مما علمك الله ، فلم يكن حظه فى الثانية خيراً منه فى الأولى ، والرجل واقف فى مكانه لا يريم ، ملح فى طلبـه لا يسأم ، فأخذ يعيده ، وطفق يكرره ، حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع عليه الحديث ، وأى حديث ، أو يلقى عليـه قول ولما ينتبه من قوله ، فعبس فى وجه الرجل وأعرض عنه ، ولم يلبث النبي أن انصرف القوم من عنده ، فيهم الذى أوشك أن يقتنع ، وفيهم الذى مازال متبرماً بالدعوة ساخطا ، وفيهم الذى ينكر على الرسول قوله ، وفيهم الذى يحب أن يتريث فى الأمر فلا يقطع فيه برأى ؛ وكان النبي قد ظن أنه بالغ منهم فى يومه ما لم يبلغه فى أمسه ، وانه لا بد اليوم مقنعهم حتى يسلموا ، فلم يدر بعد ذهابهم ماذا أخذ عليه نفسه وقد كانت معه وله ؟ ولا كيف ضاق صدره وقد كان واسعاً لا يضيق بشيء ولا يتبرم بسوء ؟ وشعر النبي بحرج لم يدر ما هو ولا من أين أتاه ، فقد كان عند أمر ربه يؤدى الرسالة فى صدق وأمانة ، لم يدع سبيلا لهداية القوم إلا سلـكها ، أو باباً الى قلوبهم الغليظة إلا طرقه ؛ ولم يلبث النبي إذ خلا لنفسه أن أحس بما يحس به حين يريد الله أن يبعث اليه بحديث أو ينزل عليه شيئاً من آيه ، واذا الوحى له لا للمسلمين ، واذا القول له لا للمشركين ، واذا الله عاتب عليه يقول إنه : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ويقول له « وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى » واذا ربه يلومه ويقول فى لومه « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة » . عند ذلك ذكر النبي قوم قريش وما كان بينه وبينهم من حديث ، وهتف هاتف كأنه عمرو بن قيس يقول : أقرئني وعلمني مما علمك الله ، وتصور النبي حال الرجل يسأل وليس من مجيب ، ويقف وليس من يأذن له بالجلوس ؛ ولـكنه لم يكن يدرى أنه أساء الى الرجل أو قصد الى إساءته ، فليس النبي من يسيء الى أحد ، وليس النبي من يصـد عن الناس بله عن السائلين ، وإنما شغله أمر ربه فاشتغل عن عمرو وأقبل على سادة قريش ، فألهاه حرصه على إسلامهم وهم كفرة عمن أسلم ، وإنما يريد أن يقرأ وأن يستزيد من العلم . وبات النبي ليلته مسهد الجفن قلقا ، يفـكر فيما سمع من ربه ، وفيمن عبس بالأمس فى وجهه ، وأعرض عنه ، حتى اذا طلع الفجر كان النبي يلتمس ابن أم مكتوم يلقاه هاشا باشا ، يسلم عليه ويشد على يده ويقول له : مرحباً بمن عاتبني فيه ربى ؛ وكان النبي يلقاه بعد ذلك فيكرمه ويسأله حاجته ، وكأنما أراد الله أن يصبح إعراض النبي عنه إقبالاً عليـه ، وأن يغدو عبوس النبي فى وجهه بشاشة له وارتياحاً للقائه ، واذا عمرو ابن قيس مؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسـلم ، واذا عمرو بن قيس خليفة رسول الله على المدينة ، لم يستخلفه النبي عليها مرة أو مرتين ، وإنما استخلفه عليها فى غزواته ثلاث عشرة مرة ، واذا النبي يخرج الى حجة الوداع فلا يستخلف على المدينة إلا عمرو ابن قيس . وكان حقاً قول المصطفى : أدبني ربى فأحسن تأديبي ؟

محمد قدرى لطفى

استدانة اسماعيل باشا

(١٨٦٣ م — ١٨٧٩ م)

بقلم عبد العزيز عبد الكريم

إن ما قام به اسماعيل باشا من جليل الأعمال لا يضارع ، وما تم فى عصره من المشروعات والاصلاحات العامة لا يتسنى لأى حاكم آخر فى مركزه أن يأتى بمثلها . بيد ان خطأ اسماعيل باشا كله يرجع الى السرعة وتعدد المشروعات ، وفرط الثقة بدهاة أوروبا السياسيين والماليين ، وعدم الاحتياط فى الانفاق على الأعمال ، وخلو البلاد من المستشارين المخلصين .

أسباب الاستدانة

كانت زيادة الثروة فى البلاد فى أوائل حكم اسماعيل بسبب ارتفاع أثمان القطن المصرى لنشوب الحرب المدنيـة فى أمريكا فى ذلك الوقت أول عامل على تشجيع الوالى فى سياسته ، فعقد قرضاً كبيراً لتوهمه ان الحرب ستستمر طويلاً ، ولكن الحرب وقفت فجأة فى عام ١٨٦٥ م . ولم يقف اسماعيل باشا عند هذا الحد بل أخذ يعقد القرض بعد القرض ، بشروط فادحة حتى عجز عن سداد الدين ، بل عن فوائده التى بلغت الخمسة أو الستة ملايين من الجنيهات فى العام .

وكان اسماعيل يجد من أوروبا التشجيع فى سياسة الاقتراض طمعاً فى ثروة مصر ، ولأن كبار الماليين كانوا يبحثون عن البلاد الصالحة لاستثمار رؤوس أموالهم فيها ، فوفد الكثيرون منهم الى الاسكندرية فى أوائل حكم اسماعيل ، وأسسوا فيهـا الشركات ، وأخذوا يتصلون بالوالى ، ولجأ كثير من الأجانب فى ذلك الوقت الى مصر لطلب الرزق ، وقد أخذت مصالح الأوربيين تنتشر فى مصر من ذلك الوقت .

وبعد أن فتحت قناة السويس التى أصبحت أهم طريق للمواصلات بين الشرق والغرب ظهرت مطامع انجلترا وفرنسا الاستعمارية نحو مصر ، فأخذتا تتنافسان فى استغلال مصر وامتلاكها

وكان اسماعيل مسرفاً فى الواقع ، فكان ينفق الأموال الطائلة فى اكرام الضيوف الأوروبيين ، والهدايا ، والقصور ، والحفلات وغير ذلك ؛ ولكنه أنفق معظم الأموال التى حصل عليها فى الاصلاحات ، وكان اسماعيل سليم الطوية ، على حين ان دهاة أوروبا كانوا ينصبون له الحبائل بطرق غير شريفة .

ديونه اسماعيل باشا

كانت ديون اسماعيل ثابتـة وسائرة ؛ فالثابتة هى القروض المحدودة التى عقدها فى بنوك انجلترا وفرنسا ، وقد بلغت حتى عام ١٨٦٨ م نحو ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ، وتراكمت عليه الديون السائرة الصغيرة المستحقة الدفع ، فكان يجددها بفوائد باهظة حتى بلغت ثلاثة أو أربعة أضعاف المبلغ المقترض

وفى عام ١٨٦٨ م ابتدأت الحكومة تتوقف عن دفع مرتبات الموظفين ، فأخذ مركزها المالى يتزعزع ، وكانت الضرائب تجبى مقدماً ، فساءت أحوال البلاد ، فأصدر الباب العالى فى تلك السنة فرماناً يحرم تقديم أى قرض الى مصر بدون استئذان الحكومة التركية ، لكن اسماعيل عقد سلفة جديدة برهن ايرادات أملاكه الخاصة ومقدارها ٧ ملايين من الجنيهات بفائدة ١٣ ٪ فاحتج الباب العالى على ذلك لدى الحكومة الانجليزية .

واستمرت الحكومة فى عقد القروض الى أن اقترح اسماعيل صديق (المفتش) وزير المالية فى عام ١٨٦٨ م فكرة « المقابلة » وكان المقصود منها أداء ديون الحكومة كلها ، وذلك بأن يقوم الأهالى بدفع ضرائب ستة أعوام مقدماً نظير اعفائهم من نصف الضريبة بصفة دائمة . فحصلت الحكومة على ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ولكن الدين الثابت بلغ فى ذلك الوقت ٢٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ؛ ولشدة حاجة الحكومة الى المال الوفير لسداد بعض الديون عقدت سلفة جديدة تبلغ ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات .

وسافر اسماعيل باشا الى الاستانة وحصل من الباب العالى فى عام ١٨٧٢ م على فرمان خول له حق عقد القروض بدون قيد ولا شرط ، فرجع الوالى الى مصر فوجد الحكومة فى ضائقة شديدة فعقد سلفة مع أحد البيوت المالية الانجليزية مقدارها ٣٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات بفائدة ٨ ٪

وقد باعت الحكومة المصرية أسهمها فى القناة بثمن بخس لانجلترا ، وكانت هذه الصفقة أكبر غلطة سياسية ومالية ارتكبها اسماعيل باشا فى حياته .

بعثات حكومات أوربا

(١) بعثة كيف : وبعد مضى أيام قليلة على شراء الأسهم تألفت لجنة انجليزية برئاسة (كيف) لدرس الحالة المالية فى مصر فى عام ١٨٧٦ م ، وكان هذا العام بدء التدخل الفعلى فى مصر وارسال البعثات المختلفة التى كان الغرض منها اصلاح الادارة بوضعها تحت المراقبة الأوروبية ضماناً للدائنين .

وقد اقترح (كيف) توحيد الديون المصرية كلها على أساس فائدة معتدلة تتناسب وحالة البلاد ، وتأجيل الاستحقاقات لخطورة الحال ، ووضع الادارة المالية تحت رقابة أحد كبار رجال المال الانجليز فى ذلك الوقت ، ولكن اسماعيل لم يوافق على هذا الشرط الأخير واتفق مع الماليين الفرنسيين وأصدر فى مايو مرسومين بانشاء (صندوق الدين العمومى) وتحويل جميع الديون السائرة والثابتة الى دين موحد بفائدة ٧ ٪ ؛ وقد عين فى صندوق الدين مندوبون عن الحكومات الفرنسية والنمساوية والايطالية .

(٢) بعثة جوش : وقد امتنعت الحكومة الانكليزية عن تعيين مندوب لها ، وعارضت المشروع فى بادئ الأمر ، ثم تم الاتفاق على ارسال بعثة جديدة مؤلفة من (جوش) ممثلاً للدائنين الانكليز و(جوبير) ممثلاً للدائنين الفرنسيين لاجراء تصفية عامة ، واصطحب تلك البعثة سياسيون من ذوى الخبرة لتمثيل انجلترا وفرنسا فى مصر ، ووضع قواعد المراقبة الثنائية (كوندومنيوم)

وقد كانت أهم نتائج بعثة (جوش — جوبير) المالية ايجاد دين ممتاز قدره ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات بفائدة ٥ ٪ وتخفيض الدين الثابت الى ٥٩٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات بفائدة ٧ ٪ فأصبح مجموع ما يدفع من فوائد الدين سنوياً لا يبقى لمصر من الايرادات ما يكفى للانفاق على الادارة وتمهد الأعمال الهامة مثل الرى وغيرها التى هى عماد الثروة فى البلاد .

أما نتائج البعثة السياسية فتتلخص فى نظام المراقبة الثنائية (الكوندومنيوم) الذى يشرك انجلترا وفرنسا فى ادارة مصر على الوجه الآتى :

(أولاً) بتعيين مراقبين (انجليزى وفرنسي) عامين للمالية المصرية

(ثانياً) بتعيين مندوبين من الأجانب للدين العام تعرض أسماءهم الحكومات الأجنبية على الحكومة المصرية ، وتنحصر مهمتهم فى تسلم ايرادات الجهات المرهونة ضمانة لسداد أقساط الدين السنوى من يد مراقب الايرادات العام ، وتسليمها لبنكى انجلترا وفرنسا ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لاستهلاك ذلك الدين .

(ثالثاً) بتعيين مندوبين آخرين لادارة مصلحتى السكك الحديدية وميناء الاسكندرية ، مصريين وفرنسى وانجليزيين تحت رياسة العضوين الانجليزيين . وتنحصر مهمتهم فى تسليم ايراد هاتين المصلحتين الى مندوبى الدين العام وذلك علاوة على الأشغال الادارية

(٣) بعثة ريفرس ولسن : ظلت ادارة البلاد وأحوالها وماليتها فى ارتباك مستمر ، وعمت الشكوى فطلب اسماعيل باشا ارسال بعثة جديدة فأصدر فى عام ١٨٧٨ م مرسوماً يقضى بتعيين « لجنة للتحقيق » تحت رياسة المسيو دى لسبس لفحص الحالة المالية فحصاً دقيقاً ، وفوض لهذه اللجنة السلطة المطلقة لاجراء ما تراه كفيلاً لتحقيق الغرض الذى أنشئت من أجله .

وقد تألفت هذه اللجنة وكان وكيلاها السير ريفرس ولسن ورياض باشا وأعضاؤها مندوبى الدول الأربعة فى صندوق الدين ، وكان رئيسها الفعلى ريفرس ولسن . وقد رفعت اللجنة تقريرها التمهيدى الى الخديو وطلبت أن تدفع الى الموظفين مرتباتهم ، وختمت تقريرها بقولها (ان الحاكم الأعلى يتمتع بسلطة لا حد لها)

وبناء على ذلك كلف اسماعيل بتكوين وزارة مسئولة ، فأصدر مرسوماً فى ٢٨ أغسطس عام ١٨٧٨ م بتأليف وزارة برياسة نوبار ، وريفرس ولسن فى المالية ، ودى بلينير المراقب المالى الفرنسى فى الأشغال .

وألغيت المراقبة الثنائية التى قام عليها (الكوندومنيوم) ، وضمنت انجلترا لنفسها النفوذ الأول فى الوزارة الجديدة ، وبذلك انتقل الحكم المطلق من اسماعيل الى الأجانب أو الى السير ريفرس ولسن وزير المالية الانجليزى .

وقد واصل ولسن خطة اسماعيل فعقد قرضاً جديداً مع بيت روتشلد مقداره ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات بضمانة أملاك الخديو ، واستخدمت الوسائل القديمة فى جباية الضرائب ، فعم البؤس البلاد . وأخذ السير ريفرس ولسن يفكر فى تسوية الدين بطريقة نهائية بعد أن تحققت أغراض السياسة الانجليزية ، وانتزع السلطة من يد الحاكم الشرعى ؛ فاقترح على اسماعيل إعلان إفلاسه وتأجيل دفع بعض الديون وتخفيض الفوائد الفادحة الى ٥ ٪ بيد أن هذا الحل جاء بعد ما ساءت أحوال البلاد وتدخل

الأجانب فى شؤون المصريين ، فثارت حمية القومية فى نفوس المصريين ، واضطر اسماعيل الى المقاومة فعزل الوزارة الأوربية فى عام ١٨٧٩ م ، وعين وزارة وطنية بحتة برياسة شريف باشا .

وقد اشترك اسماعيل باشا مع نواب الأمة فى وضع خطة مالية جديدة ، وكانوا هم الضامنين لها ، ولكن الدول لم تغفل عن هذه الاهانة ، فسعت لدى الباب العالى الى أن تمكنت من عزل اسماعيل فى عام ١٨٧٩ م .

وكان من الممكن حل الأزمة المالية بوضع الادارة تحت رقابة مالية أو أوربية كما حصل عند إنشاء صندوق الدين ؛ ولكن طمع انجلترا وفرنسا أدى الى تحويل المسألة المالية الى مسألة سياسية وحال دون انفراج الأزمة . وختمت الكارثة بقانون التصفية فى عام ١٨٨٠ م والاحتلال فى عام ١٨٨٢ م .

اسكندرية عبد العزيز عبد الكريم

مشروع القرى

الأمية فى مصر والعالم

للأستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

الأمم كالأفراد ، تقاس مدنيتها ومبلغ رقيها وتقدمها بمقاييس معقولة ، لعل أصدقها حكما وأصحها نظراً — وإن كان أقساها وأبعدها عن التحيز — مقياس الأمية . ولا إخال فرداً واحداً من أبناء النيل المخلصين لبلادهم ، الذين لم تفسد النزعة الوطنية الجامحة حكمهم على الأشياء ، وتقديرهم للظروف ، يكاد ينكر أن مصر على الرغم مما بلغته من الرقى المطرد فى عصرها الحاضر الزاهر ، وأخذها بجميع أسباب المدنية فى العالم لا يزال ينظر اليها بغير العين التى نرضى أن ينظر لبلادنا بها ، مادامت وصمة الأمية عالقة بجبينها ، وظل الجهل مخيما على السواد الأعظم من أهلها .

ولقد أصبحنا الآن فى زمن يشعر فيه الرجل الذى لا يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب — مهما كان نابهاً مستنيراً ، واسع الخبرة والاطلاع — أنه تحت رحمة المتعلم ، بل هو قد يكون فى أغلب الأحيان تحت رحمة الطفل الصغير فى الكتاب الذى لا يستطيع أن (يفك الخط) إلا فى صعوبة وعسر ؛ فاذا أراد أن يحرر خطاباً لأحد أقاربه أو معارفه فى جهة بعيدة ، أو يكاتبهم فى مسألة هامة لا قبل له بتأجيلها الى زيارة أو مقابلة فيتحدث عنها شفوياً ، أو إذا أراد أن يحسب حسبة بسيطة مستعجلة كبيع القطن أو المحصول ، أو تحرير مستند هام يضمن له حقوقه ، أو الرد على إشارة من المركز أو العمدة ، وجد نفسه مضطراً الى ارتكاب الصعب ، وإراقة ماء الوجه فى استعطاف من يستطيع أن يقوم له بهذه الخدمة البسيطة من أهل القرية ، ويكافئه عليها بما يزيد على قيمتها من أجر أو كلمات الشكر على الأقل . ولذلك يشعر رجال القرية جميعهم بأنهم مدينون بالشكر طول حياتهم لفقيه الكتاب ، أو مأذون القرية ، أو كاتب المحكمة ، أو المجاور الأزهرى القديم ، أو غيرهم ممن يقضون لهم هذه الحاجات ولو بلغة ركيكة وعبارة سقيمة . فاذا انتقل من هذه الأمور البسيطة الى أمور أشد خطراً وأعظم قيمة ، كتحرير عقد بيع وتسجيله ، والاطلاع على منشورات الداخلية وأوراق الانتخابات ، وتعليمات وزارة الزراعة عن الطيور والحشرات ، ونشرات مصلحة الصحة عن الأمراض المتفشية وطرق مكافحتها . كانت المهمة أشق ، وإراقة ماء الوجه أشد ، والمكافأة المالية أكبر . وكثيراً ما يدفع الفلاحون — بل قل العمد والمشايخ — الجنيهات الكثيرة فى هذه الأزمة الطاحنة أجراً للكاتب العمومى ، أو مندوب المحضر الذى يقوم بتحرير محضر البيع ، أو العقد ، أو شروط الوقفية ؛ على ما فى هذا كله من خطر كبير . فقد يحدث أن يكتب الكاتب شيئاً غير الواقع ، أو يزور فى العقد شيئاً لمصلحة الخصوم ، فيشترى الرجل عقاراً غير موجود ، أو حقلاً تقل مساحته عن المساحة الأصلية بكثير . والرجل مسكين يقبل هذا فى حينه بالبركة ، ثم يضع الختم أو يبصم ولا تنكشف له الحيلة إلا بعد أن يكون العقد قد استوفى سائر الاجراءات القانونية التى تجعل مطالبته بحقه أمام الناس والمحاكم أمراً عسيرا . ناهيك عن العلم بالمخترعات وماجريات الأمور ، وتتبع الحوادث وتذوق طعم الفن والأدب ، مما يجعل رقى الأمة حقيقة ملموسة

ويكفى أن ندلل على أهمية تثقيف الأمة ، وأن الجهود التى تبذل فى هذا السبيل مهما كانت جبارة ومضنية ومستنفدة لمالية الدولة ، ومهما كانت العقول جامدة ، والقرائح مطموسة ، والشعب نفورا بطبيعته من التعليم ؛ لا يمكن أن تذهب سدى ، ولا بد أن تأتى أكلها بعد حين . إنا نذكر المصريين بأن الأمم لا تقاس

ثروتها بمقدار ما يملكه أغنياؤها من مال ، وإنما بمقدار نصيب كل فرد من أفرادها عامة وخاصة من هذا المال ومن الثروة القومية ، فهى كذلك من الناحية العلمية لا تقاس ثقافتها ومدنيتها ورقيها بعدد من فيها من كبار المتعلمين ، وإنما بمقدار ما ينال كل فرد من أفرادها من مجرد التعليم الأولى .فالأمة التى يحسن كل أبنائها مجرد فك الخط هى أفضل فى المستوى الاجتماعى الدولى ، وأرقى حضارة وأسرع تقدما ، وأجدر بالاعتبار من أمة عشرها علماء وتسعة أعشارها أميون .

فلا عجب اذا تسابقت الأمم القوية الناهضة فى سبيل تعميمه لكل أبنائها وإجبارهم عليه بالقانون من بدء طفولتهم ، وتسهيل سبل تحصيله الى آخر مراحله ، وأرقى درجاته للنابهين الممتازين من أبناء العامة والدهماء من غير أن تكلفهم شيئا ، أو تثقلهم بالتفقات ، ولو استنفدت جل مواردها ومخصصاتها . وما على المتشكك إلا أن يلقى نظرة واحدة على جدول الأمية فى العالم ، وأن يقابل بين نصيب مصر منها ونصيب الأمم الأخرى التى كنا نحسب أنفسنا أرقى منها تعليما وأسرع منها تقدما . ناهيك بالأمم العظمى كانجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة واليابان وإيطاليا التى محت أو كادت تمحو وصمة الأمية عن جبينها ، فتحكم الأرقام الناطقة الصادقة عليه وعلى بلاده حكما لا يرضاه ، ويكفيه أن يعرف أن مصر ذات المجد الأثيل والتاريخ المجيد النبيل قد دار بها الزمن دورته ، فأصبحت فى القرن العشرين أقل شأناً وأبطأ تقدماً من شيلى وجبل طارق وأرجنتينا وباراجواى وتركيا وحتى كوبا واليونان وسيام . ويهوله الأمر اذا قارن نسبة التلاميذ فى مصر الى من هم فى سن التلمذة وهى (١٢,٤٪) بالسويد وهى (٩٨٪) وتشيكوسلوفاكيا وهى (٦٠٪) وحتى بلغاريا وهى (٣١) واليونان وهى (٣١٪) وكولومبيا وهى (١٧) وألبانيا وهى (٢٥٪) . ولا ضير علينا من اتخاذ نسبة التلاميذ دليلاً على الأمية مادامت نسب الأميين ذاتهم فى ممالك العالم المختلفة تعوزنا .

احصـائيات التعليم فى العـالم

الدرجة	البـلد	نوع التعليم	سن التعليم	عدد السكان	عدد التلاميذ	عدد من فى سن التلمـذة	النسبة لسن التلمـذة	النسبة لعدد السكان
١	الدانمرك	م ج	٦ — ١٤	٣,٤٤١	٧٥٨			٪٢٣
٢	كندا	م		٩,٥٠٤	٢,٠٥٢	٣,٠٠٠	٦٨	٢١
٣	هولنده	ج	٧ — ١٥	٦,٨٦٥	١,٣٤٦	٢,٣٧٧	٥٨	٢٠
٤	أرلنده	م ج	٦ — ١٤	٣,٠٠٠	٥٤٧	٩٢٠	٥٨	١٨
٥	تشيكوسلوفاكيا	م ج	٦ — ١٤	١٤,٠٠٠	٢,٤٠٠	٤,٠٠٠	٦٠	١٧
٦	لكسمبورج			٢٦١	٤٣	٧٠	٦١	١٦
٧	النرويج	ج	٧ — ١٤	٢,٦٥٠	٤١٨	٩٠٤	٤٦	١٦
٨	سويسره	م ج	٦ — ١٥	٣,٨٩١	٦١٠	١,٠٨٣	٥٧	١٦
٩	اسبانيا	م ج	٦ — ١٤	٢١,٠٠٠	٣,١٥٢			١٥
١٠	شيلى	م ج		٣,٧٥٤	٥٧٠			١٥
١١	جبل طارق	ج	٥ — ١٤	١٧	٣ ب			١٥
١٢	النمسا	م ج	٦ — ١٤	٦,٥٣٦	٨٦٦	١,٥٣٣	٥١	١٤
١٣	أرجنتينا	م	٦ — ١٤	مليون ١٠	١,٢٠٤ ألف			١٤
١٤	بولنده	م ج	٧ — ١٤	٢٩,٢٤٩	٣,٥٨٦	١٢,٠٠٠	٣٠	١٢
١٥	بلغاريا	م ج	٧ — ١٤	٥,٤٨٤	٦٦٧	١,٧٥١	٣١	١٢
١٦	باراجواى	ج	٧ — ١٤	٨٠٠	٨٩			١١
١٧	السويد	ج م	٧ — ١٤	٦,٠٠٠	٧٠٥	٧٢٥	٩٨	١١

الدرجة	البلد	نوع التعليم	سن التعليم	عدد السكان	عدد التلاميذ	عدد من فى سن التلمذة	النسبة لسن التلمذة	النسبة لعدد السكان
١٨	تركيا	م ج	٧ — ١٤	١٣,٠٠٠	١,٣٣١ ب			١١
١٩	مالطة	م		٢٢٥	٢٢			١٠
٢٠	بلچيكا	ج	٦ — ١٤	٧,٨١٢	٨٣٣	١,٩٥٣	٤٣	١٠
٢١	لاتفيا			١,٨٤٥	١٩٩	٥٥٠	٣٦	١٠
٢٢	كوبا	م ج	٦ — ١٤	٣,٤٧٠	٣٢٠ ب			٩
٢٣	كوستاريكا	م ج		٤٩٨	٤٢ ب ت			٨
٢٤	اليونان	ج	٦ — ١٠	٦,٦٠٠	٥٣٢	١,٧١٨	٣١	٨
٢٥	بناما	ج	٧ — ١٥	٤٤٢	٣٥			٨
٢٦	بوراجواى	ج	٥ — ١٤	١,٦٧٨	١٢٩			٨
٢٧	اسلنده	م ج	١٠ — ١٤	٩٥٤	٧			٧,٣
٢٨	المكسيك	م ج	٦ — ١٢	١٤,١٣١	٩٧٥			٧
٢٩	الصرب	م ج		١٢,٠٠٠	٨٥٦ ب ت			٧
٣٠	سيام	م ج		٩,٨٣١	٦١٧			٦
٣١	مصر	م ج		١٤,١٧٨	٨٤٢	٦,٧٧٥	١٢,٤	٥,٧
٣٢	لتوانيا	م ج	٧	٢,٣٣٠	١٢٤	٦٥٠	١٩	٥
٣٣	كولومبيا			٧,٠٠٠	٣٦١ ب	٢,١٦٨	١٧	٥
٣٤	أكوادور	م ج	٦ — ١٢	٢,٠٠٠	١٠٩			٥
٣٥	جواتمالا	م ج	٦ — ١٤	٢,٠٠٠	٩٧	٧٥٨	١٣	٤,٥
٣٦	رومانيا	م ج	٧ — ١٥	١٧,٣٩٣	٧٣٨			٤,٣
٣٧	البرازيل	م		٣١,٠٠٠	١,٢٧٠			٤
٣٨	البوغاز	ج م		٩٦١	٤٠			٤
٣٩	ملقا	ج		١,١٤٧	٦١	٣٤٩	١٨	٣,٧
٤٠	البانيا	م	٦ — ١٤	٨٥٠	٣٢	١٢٥	٢٥	٣,٦
٤١	الكونغو			٨,٠٠٠	٢٦٥	٢,٥٥٠	١٠	٣,٥
٤٢	سلفادور	ج	٧ — ١٤	١,٥٨٢	٤٩			٣,١
٤٣	البرتغال	م	٧ — ١٥	٦,٠٠٠	١٨٣			٣
٤٤	الهند			٣١٩,٠٠٠	٩,٦٠٠	١٢٣,٠٠٠	٧,٨	٣
٤٥	بوليفيا	ج م	ب	٣,٦٦٠	٨٤			٢,٦
٤٦	هايتى	م ج		٢,٥٠٠	٤٨			٢
٤٧	بيرو	م ج	٧ — ١٤	٦,٠٠٠	١٠٧ ب			١,٥
٤٨	الصين			٣٤٣,٠٠٠	٤,٠٠٠			١,٢
٤٩	ليبريا	ج م		١,٧٥٠	٩			$\frac{1}{2}$

(ج) تعليم اجبارى . (م) مجاناً . (ب) ابتدائى . (ث) ثانوى . (و) متوسط

هذه الحقائق الملموسة هى التى جعلت جماعة مشروع القرى يؤمنون بأن التعليم هو أس التقدم وسبيل الرقى ، وكل ما عداه ثانوى لاحق . وأهابت بهم أن يجعلوا نداءهم فوق كل نداء ، وعملهم ألزم لمصر من كل عمل ، فقاموا زرافات ووحدانا منظمين ومتطوعين ، يحاربون الأمية فى القرى بكل ما لديهم من حول ، وما يستطيعون من سبل ، وأيدهم الله بروح من عنده ، وثبت أقدامهم فى جهادهم ، وقوى إيمانهم ، وانجلت تجربتهم الأولى فى صيف العام الماضى عن تعليم أربعين ألفاً من القرويين ، ردهم المتطوعون الى حظيرة النور ، وأخذوا بيدهم فى سبيل الحياة . وهانحن أولاء نوطن النفس على أن نتعاون مع وزارة المعارف فى جهادها العظيم لنشر التعليم الالزامى ، والعمل معها جنباً لجنب تاركين لها من هم فى سنى التعليم مركزين جهودنا فيمن فاتهم الفرصة من البالغين . ولكن سيل الأمية جارف وتيارها قوى فى أمة كمصر فيها من الذكور البالغين الأميين ممن تجاوزا التاسعة عشرة وفاتوا سن التعليم ٧٩٪ أى حوالى ٢ر٨٥٣ مليون من مجموع الذكور البالغين ٣ر٥٨٥ ناهيك بالبنات والنساء الأميات اللاتى لم ندخلهن فى حسابنا هذا . تصور بعد مراجعة جدول الأمية فى محافظات القطر المصرى ومديرياته مبلغ ماسيجده مشروع القرى من صعوبات جمة وما يحتاج اليه من جهود جبارة فى مكافحة الأمية فى مديرية كأسوان تبلغ فيها نسبة الأمية بين الذكور ٩١٪ وأسيوط ٩٠٪ وجرجا وقنا وغيرها

ولا يحسبن أحد أن انتشار التعليم الالزامى سينجح وحده فى قطع دابر الأمية فى عشر سنوات لأن المدارس محدودة وعدد الذكور كثير . أو أن التوسع فى سياسة التعليم فى مراحله الأخرى يخفف الوطأة . فجملة التلاميذ الآن ٦٥٥ ألفاً من الذكور أى حوالى ٢٧٪ من مجموع الاحداث الذين فى سن التلمذة من ٥ — ١٩ . البالغ عددهم ٢ر٤٨٧ مليون والمدارس الأولية بأنواعها فيها ٤٧٠ ألفاً . وسينضم المتخلفون من الاحداث الذين لا تتسع لهم مدارس التعليم الالزامى عاماً بعد عام الى مجموع البالغين الأميين مادامت قد فاتتهم فرصة التعليم . ودليلنا على ذلك أنه مع ارتفاع نسبة الأمية فى مصر وعلى الرغم من التوسع فى انشاء المدارس فقد زاد عدد تلاميذ المدارس من جميع أنواعها ١٨٧٣٥ تلميذاً وتلميذة فى مدى أربع سنوات من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣١ . خص التعليم الالزامى منهم ٧٣٧٠ تلميذاً وتلميذة فقط أى بنسبة ٥ر١٪

(جدول تعداد الذكور الأميين من سن ١٩ فما فوق)

المنطقة	عدد الذكور	عدد الملمين بالقراءة والكتابة	عدد الأميين	نسبة الأمية للذكور
القاهرة	٣٢١٧٨٦	١٥٢١١٠	١٦٩٦٧٦	٪٥٣
الاسكندرية	١٦٨٧٦٦	٨٥١٥٩	٨٣٦٠٧	٪٥٠
القنال	٣٨٣٥٣	١٣٤٢٥	٢٤٩٢٨	٪٦٦
السويس	١٣٣٢٠	٥٦٩٦	٧٦٢٤	٥٧
دمياط	٨٣٧٨	٨٩٦	٧٢٨٢	٨٧
الحدود	٢٩٨٢٦	٣٧١٢	٢٦١١٤	٨٧
مديريات الوجه البحرى				
البحيرة	٢٢٠٦٩٦	٤٢١٢٦	١٧٨٥٧٠	٨١
الدقهلية	٢٥٠١١٢	٥٥٦٣٠	١٩٤٤٨٢	٧١
الشرقية	٢٤٢٨٣٦	٥١٦٧٧	١٩١١٥٩	٧٨
الغربية	٤٠٩٤٨٥	٨٠٥٩٢	٣٢٨٨٧٣	٨٠
القليوبية	١٤٣٨٩٣	٢٥٦٩٧	١١٨١٩٦	٨٢
المنوفية	٢٧٨٣٩٧	٥١٢٨٦	٢٢٧١٠١	٧٢
مديريات الوجه القبلى				
اسوان	٦٠٧٥٥	٥١٥٠	٥٥٦٠٥	٩١
أسيوط	٢٨١٢٥١	٢٧٠٨٣	٢٥٤١٨٨	٩٠
بنى سويف	١٣١٤٩٨	١٨٣٥٨	١١٣١٤٠	٨٧
جرجا	٢٣٩٨٧١	٢٣٦٥١	٢١٦٢٢٠	٩٠
الجيزة	١٥٢٦٩٢	١٩٧٦٨	١٣٢٩٢٤	٨٥
الفيوم	١٤١٥٤٢	٣٢٨٣٠	١٠٨٨٩٢	٧٧
قنا	٢٣٠٦٣٠	٢٢٣٧١	٢٠٨٢٥٩	٩٠
المنيا	٢٢١٤٨٥	٣٥٤٥٠	١٨٦٠٣٥	٨٤
الجملة العمومية	٣ر٥٨٤ر٩٨٣	٧٣٢٠٦١	٢ر٨٥٢ر٩٢٢	٪٧٩

فاذا أضفنا مجموع الأميين من الذكور البالغين (سن ١٩ فما فوق) وعددهم ٢ر٨٥٣ مليوناً الى المتخلفين عن المدارس من الاحداث (سن ٥ — ١٩) وعددهم الآن ١ر٨٢٣ مليوناً وما يستجد عليهم ممن لا تتسع لهم مدارس التعليم الالزامى من الاحداث الذين

مشروع القرى

روح الاجتماع تدعو اليه
فيلبها الشباب

للأستاذ محمد فريد وجدى

ما تمخضت أفكار المصلحين بشيء أكبر أثرا ، وأجل خطرا ، من تمخضها بمشروع تعليم أهل القرى بوساطة النجباء من أهلها من طلبة الجامعة وسائر المدارس فى هذه البلاد ، فان مصر التى تتوثب الآن للحصول على مكانتها بين الأمم الراقيــة ، وتحاول أن تسترد مجدها التاريخى الأقدم ، لا تستطيع أن تحقق أمانيها القوميــة هذه وتسعة أعشارها أميون لا يعرفون من أمر الوجود إلا ما تدعوهم اليه الحاجات الجسدية ، فأما النواحى العقلية وما يتجلى فيها من ثمرات البحوث الأدبية ، وما تنكشف فيها من أسرار الوسائل العلمية ، والأصول الاصلاحية ، والمبادئ الاجتماعية والعمرانية ، فهم بمعزل عنها ، واذا كلفوا بشيء منها لم يفقهوا له حكمة فلا يندفعون فيه عن اقتناع وروية . ألم تضطر الحكومة الى الاعتماد على نوع من الاجبار حين نصحت للفلاحين بجمع الديدان من شجيرات القطن وابادتها ، فتلكأوا فيها لاعتبارات خرافية حتى اضطرت لانفاق أموال طائلة لمراقبتهم فى القيام بهذه المهمة ؟ أما تذهب أكثر النصائح الطبية ســـدى فيما يختص بوجوب تصفية مياه الشرب وفى عدم التبرز فى المياه الجارية اتقاء لمرضىْ البلهارسيا والانكلستوما اللذين يفتكان بهم فتكا ذريعا ؟ ألم تفشـل أكثر المحاولات التى أريد بها تخليصهم من العادات السيئة والتقاليد الضارة ، حتى ولو جاءتهم من ناحية الدين الذى يقدسونه ويتفانون فى المحافظة عليه ؟

وكيف كانت تروج حيل الدجالين ، وأحابيل المتطببيــن ، اذا كان القرويون يقرأون ما يكتبــه عنهم العارفون ، وما تنشره الجرائد عن جرائمهم فى العواصم والأقاليم ؟

إن الجو القاتم الذى يعيش السواد الأعظم من الأميين فيــه يجعل منهم كتلة متحجرة لا تستطيع بل ولا تفكر فى أن تتابع خطوات المتعلمين فى التقدم الى الأمام ، فيــكون مجموع الأمة فى حالة تخاذل : بعضه يحاول السير ويقدر عليه ، وبعضه جامد حيث هو لا يستطيع انتقالاً من مكانه ، بل يرى الخير كل الخير فى الاقامة على ما وجد أبويه عليه ، فان حاول أن يتشبه بالمتعلمين خيل اليــه أن ذلك يكون بتقليــدهم فى بعض القشور فيشذ عن الجماعتين ، وينتهى أمره الى حالة من الضياع يضطر معها أن يلتحق بالمجرمين ليعيش .

كل ما فى الوجود يحفزنا لأن نقضى على الأميــة فى بلادنا بكل الوسائل الممكنة ، فالحكومة سائرة فى طريقها من ناحية ، ولـكن اعباء تفريج الأزمة الاقتصادية قد لا يسمح لها ببذل الوسع فى هذا السبيل ، فلا بد من عامل جديد يتناول ما لا تمتـد يدها اليه ، وهذا العامل هو ما فـكرت فيه الشبيبة المتعلمة تحت قيادة رجال مثقفين من العمل على تعليم القرويين ، وتقويم أخلاقهم ، وإشراكهم فى ثمرات العرفان الذى نالوه ، ليـكون اتصال أجزاء المجتمع بعضه ببعض حاصلاً ومنتجاً للغاية التى نتوخاها جميعا ، وهى أن تأخذ الأمة المصرية مكاناً بين الأمم يسمح لهـا أن تشاطرها

تقل سنهم عن خمس سنوات وأسقطنا من يموتون من هؤلاء يكون لدينا على أقل تقدير خمسة ملايين من الذكور البالغين الذين يحتاجون الى معونة مشروع القرى ، فاذا صحت النية على قطع دابر الأمية فى مصر بين الذكور البالغين فى سن ١٥ سنة ولا أقول عشر أو سبع سنوات يكون لدينا فى كل عام حوالى ٣٠٠ ألف قروى يحتاجون على أقل تقدير الى ١٥ ألف متطوع من تلاميذ المدارس الثانوية والعاليــة والأزهر وغيرهم ممن يهمهم مستقبل مصر وسمعتها يعلم كل منهم عشرين قروياً

فلا عجب اذا رفعنا صرختنا عالية داوية فى القطر من أقصاه الى أقصاه نطلب المتطوعين

فيا أيها المصريون المخلصون لبلادهم . المعترفون بما لها عليهم من جميـــل . العارفون مالها فى أعناقهم من دين بادروا بالتطوع . وسارعوا الى سداد الدين . يرده الله لـكم أضعافاً مضاعفة

وما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ؟

ملاحظة : احصائيات التعليم فى مصر استقيتها من الارقام التى أمكننى الانتفاع بها من احصاء سـنة ١٩٢٧ وهو الأخير . ولذلك حرصت على أن تـكون أرقام الأمية فى العالم من احصاء ١٩٢٧ أو ما يقرب منها لبلاد العالم حتى تـكون المقارنة صحيحة على قدر الامكان

العمل فى خدمة الانسانية ، وإبلاغها أقصى ما ترجوه من الكمال العالى المنشود .

هذه النزعة من الشبيبة المتعلمة ليست بثمرة تفكير عميق فحسب ، ولكنها نفحة من روح الاجتماع تنزلت على أكثر النفوس حساً ، وأدقها شعوراً ، فحركتها الى الوجهة التى سلكتها كل أمة نهضت قبلنا نهوضاً ثابتاً مضطرداً . فهذه النفحة هى التى تجعل عملنا هذا أشبه بالأمور الطبيعية الاضطرارية ، منه بالأمور التفكيرية الاختيارية ، وهى فى الوقت نفسه تدل على أن المجتمع المصرى أصبح حاصلاً على جميع المقومات الاجتماعية التى تجعل منه جسماً مترابط الأعضاء ، متكافل القوى ، متماسك الأجزاء ، متأثراً بحياة صحيحة تدفعه الى النهوض دفعاً طبيعياً متزناً لا تقوى العوامل المحللة على صرفه عنه مهما تسلطت عليه .

فاذا كان أكثر محاولاتنا التى أنتجها التفكير المحض قد حبطت فان هذه المحاولة الأخيرة التى بعثت اليها روح الاجتماع لا يجوز عليها الحبوط ، بل هى ستتطور فى أدوار التكمل حتى تبلغ ما بلغته أمثالها فى الأمم التى سبقتنا الى الكمال المدنى .

إن جميع الأمم التى ضربت فى المدنيـة بسهم قد ألهمت هذه الطريقة فى ايقاظ عامتها ، وإشراكها فى نعمة الحياة الأدبية ، فان الانجليز قد نشطوا لتعليم الشعب نشاطاً كانوا فيه المثل الأعلى ، إذ تطوعت الطبقة المتعلمة كلها لتعليم الطبقة الجاهلة ، فأسسوا الدور الأهلية للتعليم الليلى وإلقاء المحاضرات التى تعين على ترقية مستواهم الأدبى . وكذلك فعل الأمريكانيون والألمان وغيرهم . وفى ألمانيا اليوم حركة أكبر لزيادة رفع المستوى الأدبى لأهل القرى بعد أن نجحوا فى رفع الأمية عنهم ، علماً منهم بأن كل عمل يبـذل فى سبيل إصلاح القرى ، وتحبيب سكناها لأهلها ، وترقية مداركهم ، يعود بأكبر النفع على مجموع الأمة لأنهم الحجر الأساسى فى بنائها ، واذا كان الأساس قويا ركيناً كان كل ما يبنى عليه متيناً ثابتاً .

فنحن الآن حيال نهضة أدبية خاصة بالقرى ، مقبلون منها على حالة مليئة بكبار الآمال ، يقوم بها شباب تخفق بين جوانحهم قلوب يعمرها حب الوطن ، وإيمان راسخ فى النجاح ، فلنحى فيهم هذه الهمة الوثابة ، والاخلاص الذى تضرب به الأمثال ، كلل الله أعمالهم بالنجاح ، وأمدهم الله بروحه وعونه ، إنه ولى الصادقين ٢

محمد فريد وجدى

٩ – بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود أحمد النشوى

قد وعدنا أن نحدثك عن خيال دانتى فى الانتحار والمنتحرين وعما وصف به ما هم فيـه من عذاب . فلعلك على ذكر من أن أبا العلاء لم يتبع سبيل الخيال إبان ذلك ، بل سلك طريق الحكماء ، ولعلك على ذكر أيضاً من تعليـله . فأما دانتى فقد انتحى نحو الخيال يستمد منه الزراية بالانتحار والمنتحرين ، فبينا هو فى الدرك السابع من جهنم إذ رأى غابة موحشــــة ، أشجارها متجعدة الأغصان ، متجردة إلا من أشواكها المسممة الأطراف ، وقد ملئت وحوشاً أنصاف جسومها فى زى الأناسى ، وأنصافها الأخرى على هيئة طيور ، وهى ترفع صوتاً تنخلع منه القلوب عن أبدانها ، فسار فى جنبات تلك الغابة على خيفة من وحوشها ، وهو يسمع أنات وزفرات لا يعلم طريقها ، فسأل عنها فرجيـل فأجابه : أن اقطع طرفاً من هذه الغصون لعلك تتعرف تلك الأنات ، فصدع بالأمر ، وامتدت يده الى غصن لم يكد يجتذه حتى نطقت له تلك الشجرة صاحبة الغصن قائلة : لِمَ تزعتني ؟ أليس فى حنايا قلبك شىء من الرحمة ؟ لقد كنا رجالا مثلكم ، وقد صرنا نباتا ، فأما شجرات تلك الغابة فهم المنتحرون نبتوا أشجاراً كان مأواها جهنم وبئس القرار . وأما تلك الشـجرة التى قطع دانتى غصنها فهى الشاعر (پيـير ديللى ڤيني Pier. dell. vign) ، وقد كان فى حياته الدنيا مستشاراً لحكومة الأمبراطور فردريك الثانى ، نخدم مليكه مخلصاً فى خدمته ، ولكن ألسنة السوء عبثت به فتقولت عليه الأقاويل ، فأصاخ لها الأمبراطور وفقأ عيني مستشاره ، وألقى به فى ظلمات السجن ، فأكبر بيير ماحاق به وهو الشاعر الملتهب العاطفة ، فضرب برأسه فى جدران السجن ضربة أودت بحياته ، وختم أيامه بتلك الجريمة الكبرى ، فلم يك ينفعه إخلاصه ، ولم تك تنفعه أمانته ، بل دخل النار مع الداخلين ، وكان شجرة فى تلك الغابة الموحشة التى تنخلع لهولها القلوب .

فى الطريق الى الفردوس

لقد كان طريق الفردوس فى خيال المعرى مليئاً بالمفاجآت الطريفة ، وبالدعابة الساخرة ، ينبعث من كل عبارة فيها مايضحك الثكلى . وسندع ابن القارح يقص علينا حديث ذلك الطريق ، وما تذرع به لدخول الجنة ، إذ يحاور تميما بن أبى ويسأله عما يريده بكلمة (المرانة) من قوله :

يا دار سلمى خلاء لا أكلفها إلا المرانة حتى تسأم الدينا

فيجيبه تميم بأن الحساب العسير أنساه كل شىء ، فلم يدخل الجنة ومعه كلمة من الشعر أو الرجز ، ثم يقول لابن القارح إن حفظك لمبقى عليك كأنك لم تشهد أهوال الحساب ، فيقص عليه ابن القارح حديث الموقف ، وحديث دخوله فراديس الجنان ، وانه يمم شطر رضوان خازن الجنان يمتدحه بشعره ، فلا يزداد رضوان إلا إعراضاً عنه ، وصداً دونه ، ولما لم تُجد مع رضوان ضَراعة الشعر ، صاح ابن القارح قائلاً : يا رضوان ! استطالت مدة الحساب ، ومعى صك التوبة ، وقد امتدحتك بأشعار كثيرة ، فيستجيب دعاءه ثم يحاوره ، لا فى دخول الجنة بل فى تعريف الشعر وفائدته . وفى جمع كلمة شعر ، ثم ينتهى بينهما الحوار الى منعه من دخول الفردوس دون إذن من رب العزة . فلا تنقطع أطماعه بل يذهب الى خازن آخر اسمه زفر يمتدحه بالشعر فيقول له زفر أحسب هذا الذى تجيئنى به قرآن إبليس المارد ، ولا ينفق عند الملائكة . فمن أى الأمم أنت ؟ فيقول له من أمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فيقول له زفر : صدقت ذلك نبى العرب ، ومن تلك الجهة أتيتنى بالقريض ، لأن إبليس اللعين نفثه فى اقليم العرب ، وقد وجب على نصحك ، فعليك بصاحبك لعله يتوصل الى ما ابتغيت . فيتركه ابن القارح غضبان أسفا ، ثم يسير فى طريقه فيرى حمزة بن عبد المطلب فتتجدد آماله ، وترجع له ثقته بالشعر : يأمل أن يجد له نفاقاً لدى ابن عبد المطلب ، فيناديه وينشده ، فيقول له حمزة : ويحك ! أفى مثل هذا الموقف تجيئنى بالمديح ؟ إنى لا أقدر لك على ما تطلب . بيد أنه يرسل معه رسولا الى على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، ليخاطب النبى صلى الله عليه وسلم فى أمره ، فلما قص عليه القصص ، قال له : أين صحيفة حسناتك ؟ فيبحث عنها فاذا بها سقطت فى شجار بين أبى على الفارسى وبين شعراء حرف كلامهم ، وأول أغراضهم ، تدخل ابن القارح فى فضه قائلاً : ياقوم ، هذه أمور هينة ، فلا تعنتوا الشيخ فانه ما سفك لكم دماً ، ولا احتجن عنكم مالا . وعاد الى كتاب التوبة يبحث عنه فلم يجده ، فجزع وهلع ؛ ولكن أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال له : لا عليك ، ألك شاهد بالتوبة ؟ فقال له نعم ، يشهد لى عبد المنعم بن عبد الكريم قاضى حلب (حرسها الله) فى أيام شبل الدولة ، فيناديه الهاتف فيجيبه بعد لأى شاهداً بتوبته . ولعل أمير المؤمنين كرم الله وجهه اتهم تلك الشهادة فأعرض عنه . بيد أن اليأس لم يخامر قلبه ، فذهب الى العترة متوسلا بهم ، قائلاً : إنى كنت فى الدار الذاهبة اذا كتبت كتاباً وفرغت منه ، قلت فى آخره : وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى عترته الأخيار الطيبين ؛ وهذه حرمة لى ووسيلة . فقالوا ما نصنع بك ؟ فقال إن مولاتنا فاطمة عليها السلام تخرج من الجنة كل حين مقداره أربع وعشرون ساعة من ساعات الدنيا الفانية ، فتسلم على أبيها وهو قائم لشهادة القضاء ، فاذا هى خرجت كالعادة فاسألوها فى أمرى بأجمعكم ، فلعلها تسأل أباها فى ذلك . فلما جاءت قال لها جماعة الأبرار : هذا ولى من أوليائنا قد صحت توبته ولاريب أنه من أهل الجنة ، وقد توسل بنا اليك (صلى الله عليك) . فقالت لأخيها ابراهيم دونك الرجل ، فقال له ابراهيم : تعلق بركابى ، وطارت الخيل فى الهواء من الزحام حتى بلغ الركب الرسول صلى الله عليه وسلم . فقالت له فاطمة رضى الله عنها : هذا رجل سأل فيه فلان وفلان . فقال حتى ينظر فى عمله : فسأل عن عملى فوجد فى الديوان الأعظم وقد ختم بالتوبة ، فشفع لى ، فأذن لى فى الدخول ...

يتبع **محمود احمد النشوى**

مجموعة السنة الاولى للرسالة

٤ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ محمد الاشمونى

الشـــافعى

أصله من أشمون جريس ، قرية من أعمال المنوفية ، وقد أخبر انه من نسل أبى مدين التلمسانى ، ولد سنة ١٢١٨ ، وحضر الى الأزهر لطلب العلم ، فتلق عن القويسني ، والبولاق ، والفضالى ، والأمير ، والباجورى ، والمرصفى وغيرهم . وكان أكثر حضوره على البولاق ، والباجورى ، واشتهر بالذكاء ، وجودة التعليق واتقان التحصيل ، الى أن تأهل للتدريس فدرس الكتب المتداولة بالأزهر من صغيرة وكبيرة ، وقرأ المطول ، وجمع الجوامع ، وكتب التفسير ، والحديث ، والعقائد وغيرها مرات بعذوبة منطق وحسن إلقاء ، ولم يؤلف كتباً وإنما كتب عنه بعض الطلبة تقييدات عن قراءته للعقائد النسفية ، وكذلك قيدوا عنه نحو ثلاثين كراسة حال قراءته لمختصر السعد ، وأخذ عنه كثيرون من كبار علماء الأزهر ، وعمر عمراً طويلاً حتى ألحق الأجداد بالأحفاد وصار جميع من بالأزهر إما تلاميذه أو ممن فى طبقتهم ، وروى عنه ان الشيخ محمد الانبابى الذى كان شيخاً على الأزهر كان ممن تلق عنه ، إلا أن الشيخ الانبابى كان ينكر ذلك .

ولم يعقب المترجم لأنه لم يتزوج قط ، وكان القائم بخدمته فى داره أخت له وجارية سوداء وعبد اسمه محبوب تبناه وزوجه من الجارية ، وفتح له حانوتاً بالتربيعة وصيره من التجار ، ثم وقف على الثلاثة داره التى كان يسكنها بالباطنية بالقرب من الأزهر .

ولم ينقطع عن التدريس والافادة إلا قبل موته ببضع سنوات لضعف أصابه من الكبر ، وأبطل حركته فى آخر أيامه ، وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع ذى القعدة سنة ١٣٢١ عن مائة سنة وثلاث سنوات ، وأمر الخديو بتجهيزه من الأوقاف الخيرية ، وأطلقوا منادين فى الطرق للانباء بوفاته ، فساروا مثنى رافعين أصواتهم بالنبى واجتمع فى صبيحة الوفاة الألوف من صنوف الناس لتشييع جنازته قيل انهم بلغوا نحو أربعين ألفاً ، وحضر أيضاً الوزير المنبهى المراكشى وزير الحرب بالمغرب ، وكان ماراً بمصر للحج وأحب أن تكون نفقة التجهيز والمأتم من عنده فأخبروه بأمر الخديو ، وتقدم شيخ الأزهر السيد على الببلاوى للصلاة عليه بالأزهر ، وتلوا قبيل الصلاة مرثية من نظم الشيخ ابراهيم راضى مطلعها :

لا قلب للاسلام غير حزين فاليوم فيه انهدّ ركن الدين

ثم خرجوا بالجنازة الى القرافة ودفنوه فى مقبرة الشيخ الانبابى

وكان رحمه الله أنيس المحضر ، كثير الدعابة والمزاح مع الطلبة شديد الورع متصفاً بالزهد والتقشف وقلة الاحتفال برفاهة العيش اذا سار فى الطريق توكأ على عصاه بيد ووضع الأخرى على كتف من يساره ، لا سيما بعد علو السن وضعف القوة . حضر مرة احتفالا مما يقام لكسر السد أو المولد النبوى ، ورموا بالسهام النارية كعادتهم ، فتجاوز سهم منها مداه ووقع على الحاضرين ، فأصاب المترجم فى احدى عينيه وذهب بها ، فرق له الخديو إذ ذاك ، ورتب له راتباً شهرياً علاوة على راتب الأزهر ، رحمه الله تعالى

الغازى احمد مختار باشا

ولد فى بروسة من مدائن آسيا الصغرى شهر (سبتمبر سنة ١٨٣٧) وقدم الآستانة صغيراً ، فدخل المكتب الحربى العالى ، فنبغ من بين أقرانه ، ولم يخرج منه حتى نال رتبة قائمقام وحضر حرب القرم ، ثم انتظم فى عداد أركان حرب السردار الأكرم عمر باشا حين حمل على الجبل الاسود سنة ١٨٦٠ وامتاز بالبسالة خصوصاً فى مضايق اوستروك ، وكوفئ وقتئذ بترقيه رتبة ثم ما لبث أن عاد الى الآستانة عقب ابرام الصلح فجعل أستاذاً فى المكتب الحربى . وفى سنة ١٨٦٦ جعله السلطان عبد العزيز مربياً لنجله البكر يوسف افندى عز الدين ، فرافقه الى ايطاليا وفرنسا ، وانكلترا ، والمانيا ، والنمسا فنال فى أثناء ذلك وسام

(اللجيون دونور) وغيره من فرنسا وسواها ، وعاد الى الآستانة سنة ١٨٦٧ فجعل مأموراً لتحديد التخوم بين بلاد الدولة والجبل الاسود ، فرجحت بسببه كفة الأولى إذ أبقى فى حوزتها عدة مواقع حربية مهمة ، وقوبل عمله هذا بترقيته لرتبة أمير اللواء وجعله عضواً فى المجلس الحربى ، وفى ختام سنة ١٨٧٠ أرسل مع ضباط الجيش المرسل الى اليمن تحت إمرة رديف باشا ، فاستولى على مدينة يدى ، ونال رتبة فريق ، ثم أقيم مقام رديف باشا فى القيادة الكبرى لنقله والياً على الحجاز ، فتمكن من الفوز على أهل اليمن ، فرقى الى رتبة مشير وجعل والياً على اليمن . ثم لما رجع الى الآستانة أقيم وزيراً لوزارة النافعة فاستقال منها ثم جعل والياً لكريد ، ثم مشيراً للفيلق الثانى فى شوملة سنة ١٨٧٣ ، ثم مشيراً للفيلق الرابع فى ارزروم سنة ١٨٧٤ ، ثم قائداً لجيش الهرسك بدلاً من رؤوف باشا سنة ١٨٧٥ فحصن مواقعها ، وقاوم الثورة حتى عقدت الهدنة فى ختام سنة ١٨٧٦ فأعيد الى كريد والياً عليها ، ولكنه لم يبق بها شهراً واحداً حتى أمر بالذهاب الى ارزروم لقيادة الفيلق الرابع وحماية المواقع العثمانية عند حدود القوقاز . واشتهر بالفوز فى الوقائع الحربية مع الروسيا فى جهة قرص ، والكسندر ، وبول وغيرها ، خصوصاً بمعسكر جديكلر فى شهر اغسطس سنة ١٨٧٧ حتى استحق لقب الغازى ، ولما قطع الغرانذوق ميخائيل الصلات بين فرقته وسائر الجيوش العثمانية تمكن هو من النجاة ، ثم استدعى الى الآستانة فجعل ناظراً (للطوبخانة) وكان ذلك فى شهر افريل سنة ١٨٧٨ ، وبعد ذلك عين قائداً لجيش يانيا ، ثم والياً لكريد مرة ثالثة فى ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ فتمكن من توطيد الأمن بها وألف بين أهلها المسلمين والمسيحيين فكتبوا عريضة رفعوها للباب العالى فى شهر اكتوبر سنة ١٨٧٨ بالثناء عليه وبعد ذلك أرسل الى البانيا لتنفيذ العهدة البرلينية المتعلقة بها ، فدوخ الثائرين ، وعاد بعد حين الى الآستانة ولبث يقوم فيها بالمهام الجسيمة فى الجيش حتى أرسل الى مصر معتمداً عالياً .

الشيخ حسونة النواوى

الحنـــفى

هو حسونة بن عبد الله ، أصله من نواى ، قرية تابعة لملوى ، من أعمال أسيوط ، ولد سنة ١٢٥٥ ، ولما ترعرع حضر الى الأزهر ، وتلقى به العلم على شيوخ وقته ، وكان حضوره الفقه الحنفى على الشيخ عبد الرحمن البحراوى ، والمعقول على الشيخ محمد الانبابى والشيخ على بن خليل الأسيوطى . ثم درس به ، وأحيل عليه تدريس الفقه بمدرسة دار العلوم ومدرسة الادارة التى سميت بعد ذلك بمدرسة الحقوق ، ودرس آخر بمسجد محمد على بالقلعة فكان له من مجموع وظائف هذه الدروس ما حسن به حاله ، وألف فى أثناء ذلك كتابه « سلم المسترشدين فى الفقه الحنفى » لتلاميذ مدرسة الادارة ، ونال فى شهر شعبان سنة ١٣٠٢ كسوة التشريف من الدرجة الثانية .

ثم لما شرع الخديو عباس باشا الثانى فى أوائل توليته فى تحسين حال الأزهر ، واصلاح نظامه ، وطريقة التدريس فيه ، وابدال بعض الكتب التى تقرأ فيه بغيرها ، وادخال بعض العلوم فيه كالرياضيات ، وتقويم البلدان والتاريخ وغيرها وذلك بسعى الشيخ محمد عبده وغيره رأى الساعون تعذر ذلك مع وجود الشيخ محمد الانبابى شيخاً عليه ، ولم يشأ الخديو عزله دفعاً للقيل والقال ، فألف مجلساً من العلماء ينظر فى شؤونه سمى بمجلس الادارة ، والتمس رئيساً له يعين على احداث النظام المطلوب فأشير عليه بالمترجم لما عهد فيه من الشهامة والصرامة ، وسعى له بعض كبار رجال الحكومة ممن سبق لهم التلقى عليه بمدرسة الادارة فأقيم رئيساً لهذا المجلس ، وأخذ فى الاستبداد بأمور الأزهر حتى انحصرت فيه كلياتها وجزئياتها ، وصار هو الشيخ فى باطن الأمر حتى ضجر الشيخ محمد الانبابى ثم اعتلت صحته ، فاستقال فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٢ ، وأقيل فى ثانى المحرم سنة ١٣١٣ .

فجاءت استقالة الشيخ على وفق مأمولهم ، وأقيم المترجم شيخاً على الأزهر بدله ، فكانت توليته كالشجا فى حلوق أهله لأسباب

منها انهم يرون فيهم من هم أكبر سناً ، وأكثر علماً ، وأحق بالرئاسة عليهم منه . ومنها انه جاء مؤيداً لادخال بعض العلوم المسماة عندهم بالجديدة كالحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان وما هي إلا علوم قديمة اشتغل بها المسلمون وألفوا فيها ، وكانت تدرس بالأزهر قبل انحطاطه ، وانما نفروا منها لطول عهدهم بها وحسبانها من علوم الافرنج ، وأنها ما أدخلت فيه إلا للقضاء على العلوم الشرعية أو تقليل الرغبة فيها . ومنها انه تولى بعد الشيخ الانبابي المشهود له بالعلم والفضل والتقوى بين الخاصة والعامة بل لأنه كان سبباً في باطن الأمر على إرغامه على الاستقالة . ومنها اشتهاره بشيء من الشدة والجفاء في مخاطبة الناس ومعاملتهم مع ما داخله بعد التولية من الزهو والخيلاء ، وما كان يشيعه أعداؤه عنه من ممالأته للانكليز على هدم أركان الدين بادخال العلوم الجديدة بالأزهر حتى كثرت القالة فيه ، ويعلم الله انه برىء مما يأفكون .

وحدثت في مدته حادثة الوباء التي امتنع فيها المجاورون باغراء بعض متهوريهم من الخضوع لأوامر الحكومة ، واعتصموا بالأزهر ، وقاوموا رجال الشرطة ورموهم بالأحجار حتى أصيب محمد ماهر باشا محافظ القاهرة بحجر أدمى وجهه ، فأحيط بهم ورموا بالرصاص ، فجرح منهم من جرح ، ثم قبض عليهم وحكم على البعض بالسجن وعلى البعض بالنفي ، وأغلق رواق الشوام لأن أصل الحركة كانت منهم ، وهال الناس وقوع هذه الحادثة وانتصروا للمجاورين ، ووجدوا منها باباً للكلام في الشيخ ورميه بالضعف والتهاون في الدفاع عن حرمة المسجد والمحاماة عن أهله .

ثم لما توفي الشيخ محمد المهدي العباسي مفتي القطر سنة ١٣١٥ أضيف منصب الافتاء للمترجم فجمع له بينه وبين رئاسة الأزهر كما كان يجمع بينهما للشيخ العباسي أحياناً ، واستمر المترجم جامعاً للمنصبين وأكثر القلوب منصرفة عنه حتى وقع الخلاف الكبير بين جمال الدين افندي قاضي قضاة مصر وبين الحكومة أواخر سنة ١٣١٦ بشأن اصلاح المحاكم الشرعية واقتراح انتداب قاضيين من مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية ليشاركا قضاة المحكمة الشرعية العليا في الحكم ، فلما عرض الاقتراح في مجلس شورى القوانين أبى قاضي القضاة قبوله ، وقام المترجم بنصرته وشد أزره ، وأراد رئيس النظار مصطفى فهمي باشا مناقشته فبدرت منه كلمات عدها الوزير مهينة له ، ولم يقتصر على ذلك بل أرغى وأزبد وخرج من المجلس مغضباً وهو يتلو قوله تعالى[1] (   )

وشاع بين الناس ما أقدم عليه فأكبروه منه وحمدوا موقفه فيه ، لا سيما وقد سرى الى الأذهان أن الحكومة تريد هدم الشريعة بهذا المشروع ، فانقلب ذمهم له مدحا ، وبغضهم محبة ، ولكنهم لم يغنوا عنه شيئاً لأن النظار أحفظهم ما واجه به رئيسهم وحرك ذلك ما كان في صدورهم منه يوم أرادوا منع الحج احتجاجاً بالوباء واستفتوه ليجعلوا فتواه عصا يتوكؤون عليها كما أرادوا منع الحج وظنوا انه يوافقهم فأخلف ظنهم ، وأفتى بعدم جواز المنع فكانت حادثته مع الوزير من أحسن ما يتوصل به الى التخلص منه ، فشكوه الى الخديو وطلبوا منه عزله ، فاستدعاه يوم الثلاثاء ٦ المحرم سنة ١٣١٧ الى مصيفه بالاسكندرية ومعه القاضي وألان لهما القول وناقشهما في تعديل الاقتراح ، وتغيير ما يخالف الشرع منه ، فأصر القاضي على الامتناع ، وتكلم المترجم منتصراً له ، فقال في عرض كلامه إن المحكمة الشرعية العليا قائمة مقام المفتي في أكثر أحكامها ، ومهما يكن من التغيير في الاقتراح فانه لا يخرجه عن مخالفته للشرع لأن شرط تولية المفتي مفقود في قضاة الاستئناف ، ثم التفت الى القاضي وسأله هل هو مولى من الخليفة أم من الخديو ؟ فقال من الخليفة ، فقال إذن يجب إذن القاضي لمن يريد مولانا الخديو اشراكه معه ولو كان أهلاً ثم انصرفا . وكان كلام المترجم فيه شيء من الشدة تألم منها الخديو فمال لرأي نظاره فيه ، ولكنه أسرها في نفسه حتى حسم نازلة القاضي بالحسنى ، ثم أصدر أمره يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ١٣١٧ بفصله من الأزهر والافتاء ، واقامة ابن عمه الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي شيخاً على الأزهر ، والشيخ محمد عبده المستشار بالاستئناف الأهلي مفتياً للقطر ، بعد ما انتقل من مذهب الامام مالك لمذهب الامام الأعظم أبي حنيفة .

ولما أشيع الأمر كثرت وفود العلماء والوجهاء على دار المترجم

(١) نسي الأستاذ أن يثبت الآية في الأصل

وانطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه وتعلقت به القلوب ، وأقبل الناس عليه أى إقبال ، وتحققوا ان ما كانوا يتهمونه به من قبل لم يكن إلا عن محض توهم . والحقيقة ان الرجل وان لم يبلغ شأو طبقته فى العلم لم يعهد عليه ما يشين دينه ولا دنياه ، بل عرف بالعفة ، وعلو الهمة ، ونقاء اليد من الرشى لولا جفاء يبدر بعض الأحيان فى منطقه ، وشدة فيه يراها بعض الناس غلظة ويعدها البعض شهامة لحفظ ناموس العلم ، خصوصاً مع الكبراء الذين أفسدهم تملق علماء السوء وحملهم على الاستهانة بهذه الطائفة .

ولم يزل المترجم عاكفاً فى داره ، مقبلاً على شأنه ، وحببت اليه العزلة فابتنى داراً بجهة القبة انتقل اليها وسكنها ، ولم يقم ابن عمه فى الأزهر طويلاً بل توفى فجأة بعد نحو شهر من ولايته سنة ١٣١٧ ، فولى على الأزهر الشيخ سليم مطر البشرى المالكى ثم استقال فأقيل يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ، وأراد الخديو اعادة المترجم أو تولية الشيخ محمد بخيت فلم يوافق النظار وتولى الشيخ على بن محمد الببلاوى المالكى نقيب الأشراف على الأزهر ثم استقال يوم الثلاثاء ٩ المحرم سنة ١٣٢٣ فأقيل يوم السبت ١٢ منه ، وصدر الأمر العالى يوم الأحد ١٣ منه باقامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى ثم استقال فأقيل بأمر صدر يوم الاربعاء ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢٤ وصدر أمر آخر فى ذلك اليوم باعادة المترجم شيخاً على الأزهر وهى توليته الثانية ، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً بسبب اختلال الأحوال ، ونزوع المجاورين للفتن ، وذهاب هيبة المشايخ ، فاستقال سنة ١٣٢٧ ورتب للشيخ الشربينى ١٥ ديناراً مصرياً فى الشهر من الأوقاف الخيرية ليكمل مرتبه ٢٥ ديناراً .

وأعيد الى الأزهر الشيخ سليم البشرى ، ولزم المترجم داره التى بالقبة يزوره محبوه ويزورهم ، ونال فى توليته الأولى الوسام المجيدى من الدرجة الثانية ، وجعل حينذاك عضواً من الأعضاء الدائمين بمجلس شورى القوانين ومن شرط هؤلاء الأعضاء انهم لا يعزلون ، ولهذا بقى المترجم به بعد عزله من الأزهر والافتاء ، حتى ألغى المجلس واستعيض عنه بالجمعية التشريعية سنة ١٣٣٢ فانفصل عنه بحكم الالغاء .

وظل مقيما فى داره التى بالقبة فى عزلة عن الناس الى آخر حياته ، وقد أصيب بأمراض ووهن فى القوى وضعف فى النظر حتى توفى صباح يوم الأحد ٢٤ شوال سنة ١٣٤٣ ، ودفن فى العصر بالمجاورين تغمده الله برحمته .

من طرائف الشعر

الذكرى

للعالم الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

أذّكاراً بعد ما وَلَّى الشباب … ومن الذكرى نعيمٌ وعذاب
لا تقلْ تعزيةٌ عن فائتٍ … كم عزاءٍ في ثناياه المصاب
وإذا الدار جفاها أُنسُها … فمغانيها مع التُّرْب تراب
وإذا الروض ذوت أوراقُه … فغناء الوُرق في الروض انتحاب
وإذا ما الزهر وَلّى حُسنُه … فبقاياه عبوسٌ واكتئاب
واحمرارُ الشمس في مغربها … دمعُها القاني أو القلبُ المذاب
إنما الذكرى شجونٌ وجوًى … يسكن القلبُ لها وهي حِراب
رُبَّ نفسٍ عشقتْ مصرعَها … كفراش النار يغريه الشِّهاب
ولكم أُنسٍ وفيه وحشةٌ … واقترابٍ هو نأيٌ واغتراب
علِّلِ القلبَ بذكراكِ وإن … كان لا يغني عن الماء السَّراب
وصلينا في الكرى أو في المُنى … مَن أباه الصدقُ أرضاه الكِذاب
أو عِدينا عِدةً ممطولةً … قد يشام البرقُ إن ضنَّ السحاب
كم تمنّينا عقيبات المنى … ودعونا وصدى الصوت جواب
ورضينا بقليلٍ منكِ لو … أن مشتاقاً على الشوق يثاب
لا أرى بعدكِ شيئاً حَسَنا … آهِلُ الأرض بعينيَّ يباب
رنّةُ العود بسمعي أنّةٌ … وسُلافُ الخمر في الأقداح صاب
يا زماناً صَفِرتْ منه يدي … غير ما تُبقي الأمانيُّ الكِذاب
ليت نفسي ذهبتْ في إثره … فذهاب الصفو للمرء ذهاب
مَن لقلبٍ حاملٍ من وجده … ما يذوب الصخر منه والهضاب
حَمَّلَ الأيامَ ذكرى ومُنًى … ضاقت الدنيا بها وهي رحاب
والمنى عذرُ الليالي إن جنتْ … وهي للشاكي على الدهر عتاب
ونعيمٌ يَعِدُ القلب به … نفسَه حين المقاديرُ حجاب
ليتها دامت على خدعتها … أحسب الخير ويعدوني الحساب
ربّما رفّه ظنٌّ خاطئٌ … ولقد يجني على النفس الصواب
غير أن اليأس قد أبقى بها … مثلما يُبقي من الشمس الضباب
لم يدعْ لي اليأسُ ما أحيا به … غيرَ قد كنّا وقد كان الشباب!

أحمد الزين

حلم

للأستاذ محمود خيرت

هذا الجميل هو الذي وصلَ الهوى … حظّي به فكُتبتُ من عُشّاقه
ولقد شقيتُ بهجره حتى اذا … بلغ المدى ويئستُ من إشفاقه
نادى عليَّ فلم أُصدِّق مسمعي … في ليلةٍ كَرُمت على مُشتاقه
وقد استقلَّ البدرُ عرشَ سمائه … وأطلَّ ضافي الزهرِ من أوراقه
فطفقتُ أشرح والدموعُ هواطل
ما جرَّعتْ شفتيَّ كأسُ فراقه
وأبثُّه عَتْبي على إعراضه … لما وشَى بي عاذلي بنفاقه
وأخذتُ أَروي من جنَى قُبُلاته … ظَمَئي وأُطفئ لوعتي بعناقه
حتى اذا نفخ الصبّاح ببُوقه … في النائمين وهلَّ من آفاقه
أدركتُ أني عند حُلمٍ طائفٍ … لم يبقَ منه غيرُ مُرِّ مذاقه
إني المَلُومُ عرضتُ قلبي سِلعةً … عند الهوى فخسرتُ في أسواقه

البليارد

له أيضاً

تمشّتْ الى بليارها ذاتَ ليلةٍ … تُعالج في لطفٍ صوالجَه لمْسا
ومالتْ بنهدَيها عليه فعندَها
أرتني كُراتِ العاج من فوقه خمسا (١)

محمود خيرت

---

(١) كرات البليارد العادي عددها ثلاثة وتنتهي هذه الكلمة بحرف (د) في الفرنسية والانجليزية ، ولكن هذا الحرف لا ينطق به في الأولى

من الأدب الغربي

سانت بوف وفن النقد

بقلم علي كامل

النقد قبل سانت بوف

كان النقد في القرنين السابع عشر والثامن عشر قائماً على تلخيص أعمال الكتاب وإيراد مقتطفات من كتاباتهم مصحوبة ببعض تعليقات عليها. وكانت هذه التعليقات على تفاهتها وقلة اهتمام النقاد بإيرادها تمثل الفوضى المطلقة. فكان كل ناقد ينظر الى الكتاب المنقود بمنظار فكره الخاص. فاذا اتفق تفكير الكاتب وتفكير الناقد كان الكتاب ناجحاً في نظر الناقد فيهلل له تهليلا. وإذا خالفه كان سقوط الكتاب هو المصير الأكيد! كان النقد إذن نظرياً فلم تكن له قواعد يتبعها الناقد في نقده. ولم تكن هناك شروط معينة من المفروض توفرها فيمن يتصدرون لنقد أعمال كبار الكتاب والأدباء، لذا كان ينزل الى ميدانه كل من ظن في نفسه القدرة على مسك القلم وتسويد بضعة سطور على القرطاس. واستمر الحال هكذا حتى صاح (جرم) قائلا (إن الأعمال الأدبية العظيمة لا ينبغي أن تدرس بالاطلاع على ملخصاتها بل يجب أن تقرأ جيداً. أما الأعمال الأدبية التافهة فلا تستحق إلا الاهمال المطلق. إن النقد الصادق هو الدراسة والاصلاح. والناقد يجب أن يفهم المؤلف حق الفهم. ويتغلغل الى أعماق تفكيره لا أن يخضع لفكره الخاص)

على هذا الأساس نشأت بذرة فن النقد الحديث في أوائل القرن التاسع عشر. وكانت أول مظاهره نشوء ما سمي بالنقد التاريخي La critique historique والفكرة في ذلك أن العمل الأدبي خاضع بالضرورة للحالة الاجتماعية في العصر الذي كتب فيه. فلكي نحكم على الكتاب حكماً عادلاً وجب أن نقيم وزناً للظروف التي عاصرته... تلك كانت وجهة النظر الجديدة وكان أول من عمل على تطبيقها الاستاذ فيلمان Villemain [1] فكان

(١) فيلمان (١٧٩٠ — ١٨٦٧) عين وهو في شرخ الشباب أستاذاً في مدرسة نورمال. وفي عام ١٨٢١ انتخب عضواً في الأكاديمي. وفي عام ١٨٣٢ أصبح سكرتيرها الدائم. وقد عين وزيراً مرتين وترك بعد وفاته سلسلة من الابحاث النقدية أهمها Cours de la littérature française (١٨٢٨) و Etndes de le littéralure ancienne et étrangère. (١٨٤٦)

النقد في نظره صورة من التاريخ، وقد اتبع طريقته في النقد عند كتابته عن الأدب الفرنسي والآداب الأوروبية كالأدب الانجليزي والايطالي والاسباني

ومن أوائل المجددين في النقد سان مارك جيراردان Saint-Marc Girardin (١٨٠١ — ١٨٧٣) وقد اشتهر بمحاضراته في السوربون وبكتابه Cours de littérature dramatique الذي قال عنه معاصره الناقد المجدد Nisard (أنه كتاب أدبي ولكنه يسمو الى مصاف الكتب الأخلاقية العظيمة)

اذن كان فيلمان وسان مارك جيراردان صاحبي الفضل الأول في الخروج بالنقد من فوضاه القديمة، وذلك بمزج النقد بالتاريخ واعتبار الأول صورة مصغرة من الثاني. على أن فضلهما كان أشبه بمناورات طفيفة اذا قورنا بالفاتح الجديد سانت بوف

سانت بوف وأعماله الادبية

كان سانت بوف [1] Sainte-Beuve في مبدأ حياته طبيباً ثم انضم الى جماعة فكتور هوجو. وفي عام ١٨٢٨ نشر كتابه Tableau de la poèsie française au XVI siècle ثم ارتفع اسمه كشاعر عندما نشر عام ١٨٢٩ مجموعته الشعرية الأولى Poèsie de Joseph Delorme ثم مجموعته الشعرية الثانية Consolations (١٨٣٠) وفي عام ١٨٣٤ نشر قصته Volupté وفي عام ١٨٣٧ نشر مجموعته الشعرية الثالثة Pensées d'Août

وابتداء من عام ١٨٤٠ تفرغ سانت بوف للنقد الأدبي الذي نبغ فيه بسرعة نبوغاً عجيباً فلم يكن ينافسه فيه منافس. وفي عام ١٨٤٥ انتخب عضواً في الأكاديمي. وفي عام ١٨٥٧ عين أستاذاً في مدرسة النورمال فألقى سلسلة من المحاضرات نشرت فيما بعد بعنوان (دراسات عن فرجيل) Etudes sur Virgile. ولقد كتب سانت بوف ما يقرب من ثلاثمائة ترجمة biographie وصورة أدبية portrait littéraire جمعت تحت أسماء مختلفة منها (أحاديث الاثنين) و (صور أدبية) و (صور معاصرة) و (صور من النساء) وغيرها

عبقرية سانت بوف

إذا كان لفيلمان وسان مارك جيراردان فضل النهوض بالنقد كفن له قواعد وأصول، فان لسانت بوف فضل المجدد الطليق الذي

(١) ولد عام ١٨٠٤ ومات ١٨٦٩

لا يلتفت لحظة الى الوراء ولا يرعى تقاليـد الماضى . فهو الرجل الذى قلب بحق فن النقـد فى القرن التاسع عشر فلم يبلغ أحد ما بلغه فى تطبيق طريقة (النقـد التاريخى) ولم يكن هناك من يفوقه فهما لمهمة الناقد الوفى .

كان سانت بوف ناقداً بالسليقة اذ كان يجمع كل الصفات التى يجب أن تتوفر فى كل من يجرؤ على خوض غمار فن النقد . ذلك الفن الذى يعتبر — اذا استثنينا بلادنا ! من أصعب فنون الأدب . وهذه الصفات الضرورية التى كانت من أخص سجايا سانت بوف هى :

أولاً : حب الاطلاع . فكان يجد السعادة كلها فى دراسة كل أنواع الكُتّاب — من يحبهم ومن لا يحبهم — وقراءة الأعمال الأدبية من جميع العصور

ثانياً : الجلد الذى كان يجعله لا يمل قراءة أبسط التفصيلات والاصغاء لكل كلمة قبل أن يقدم على نقد عمل أدبى . وكانت أبعد الصفات عن طبيعته أن يفر من الصفحات المملة أو أن يكتفى بقراءة الفهرس ودراسة المقدمة كما يفعل الكثيرون !

ثالثاً : الذكاء الوافر الذى يهيىء له القدرة على فهم نفسه والتخلص من سيطرة رأيه الخاص فى المؤلف وفى الموضوع الذى يبحثه المؤلف . وكانت عبقرية سانت بوف من هذه الناحيـــة تنحصر فى أمرين . الأمر الأول فى مهارته فى أن يلبس شخصية المؤلف الذى ينقده فيزول بذلك ما قد يوجد بينهما من اختلاف فى وجهات النظر ويصبح المؤلف فى نظره رجلاً عادياً لا غرابة فى أفكاره فينقده فى هدوء وصفاء . والأمر الثانى فى أن يخلق حول نفسه نفس الجو الذى كتب فيه الكتاب حتى تكون مواضيعه كأنها حقائق واقعة . وعندئذ يقدم على دراسة الكتاب دراسة عميقة ناظراً اليه من كل النواحى مشدداً عليه الخناق . وكان هذا فى نظر سانت بوف هو الوسيلة الوحيدة لفهم الكتاب

رابعاً : الليونة فى التفكير . كانت لسانت بوف القـدرة العجيبة على نقد كتاب ما ، ثم الانتقال الى نقد كتاب آخر على أتم خلاف فى الرأى مع الكتاب الأول

خامساً : عاطفة العدل . وهى سجية طبيعيـة نادرة الوجود لدى الناس . ويقصـد بها أن الشخص اذا عهد إليه القضاء فى أمر من الأمور فانه يكون أسـير عاطفة تجعله لا يقضى الا بالحق والعدل . وهذا هو السبب فى أن جل أحكام سانت بوف على مئات الكتب التى نقدها كانت أحكاماً عادلة سليمة من اللوم رغم تضارب أنواع الكتب واختلاف مذاهب مؤلفيها

استغل سانت بوف هذه المواهب النادرة فى عمله كناقد . على أنه كان الى جانب ذلك مبتدعاً لطرق جديدة فى النقد لم تكن معروفة من قبل . فأدخل على النقد شيئين :

أولاً : الصورة portrait ثانياً الترجمة biographie

ولنشرح الآن ماذا يقصد سانت بوف بالصورة ثم ماذا يقصد بالترجمة .

كان سانت بوف اذا أراد نقد كتاب من الكتب سائل نفسه : ما هى أخلاق الكاتب ؟ وما هى ميوله ، وما هى طباعه ؟ وكان يلح فى الوصول الى حقيقة هذه الأشياء التى قد يظن البعض أن لا علاقة لها بالكتاب المنقود . على أنها كانت فى نظر سانت بوف أهم ما يساعد على فهم الكتاب علاوة على فهم المؤلف نفسه . وكانت هذه الفكرة هى الباعثة لسانت بوف على كتابة عشرات الصور لمختلف الكتاب والأدباء . وقد كتب سانت بوف يشرح فكرته فى ذلك فقال (انى أحب دائماً الرسائل والأحاديث والأفكار وكل الدقائق التى تعين على فهم أخلاق الكاتب . وبكلمة واحدة أحب دراسة تراجم كبار الكتاب . ولقد أحبس نفسى خمسة عشر يوماً محاطاً بكتب شاعر أو فيلسوف مشهور توفى فأدرسه وأعيد قراءة ما قرأته وأسائل نفسى فى هدوء وروية ، وعنـد ما أنتهى من دراستى أرى أن هذه الدراسة قد أوصلتنى فى النهاية الى كشف عوالم خفية فأجد أن ذلك الكاتب الغامض الذى كان فى البداية لا يختلف فى نظرى عن نوعه من الكتاب يضم من السجايا الفنية الخاصة به ما لا يمكن تجاهله ونسيانه)

ولقد ظهرت هذه الطريقة الجديدة فى النقد التى اتبعها سانت بوف ظهوراً قوياً فى مجموعته الشهيرة (صور أدبية) Portraits littéraires

على أن هذا النوع من الدراسة لنفسية الكتاب وأخلاقهم كان يعتبر فى نظر سانت بوف سطحياً لا يكفى لكى يكون النقد كاملاً غير منقوص ، لذا كان يرى ضرورة التوسع فى دراسة الكاتب واتمام ما كان يعتبره نقصاً باضافة ما سماه (التاريخ الطبيعى

في الأدب الفرنسي

٧ - الدوق دي لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

إننا نعجب باحتقار حطام الدنيا والزهد فيها ، ونعد ذلك فضيلة ، ولكن لاروشفوكو يقول عنها : « احتقار الثروة كان عند الفلاسفة رغبة مستترة في الانتقام لجدارتهم من الحظ ، باحتقار النعم التي حرمهم منها ، يدفعون به عن أنفسهم ذل الفقر ، كان سبيلاً ملتوية يسلكونها لاكتساب الاعتبار الذي حرمتهم منه رقة العيش » (موعظة رقم ٥٤) . ومعني قوله أن بعض الناس يزهدون في الثروة انتقاماً لجدارتهم من الحظ ، وهذا كبرياء . وبعضهم يتخذون هذا الزهد سلاحاً يدفعون به عن أنفسهم ذل الفقر ، وهذا خداع . وبعضهم يتخذونه مجازاً الى الاعتبار ، وهذا طموح ؛ أى أن لاروشفوكو يجعل مصدر هذه العاطفة الراقية الكبرياء والخداع والطموح .

الاعتدال فضيلة جميلة ، ولكن لاروشفوكو يقول عنها : « الاعتدال هو خوف الوقوع في جحيم الحسد واتقاء الازدراء الذي يستحقه من تثمله السعادة ، إنه تفاخر جديب بقوة العقل ، وعلى الجملة اعتدال الناس في أرقى درجات علوهم هو الرغبة في الظهور أكبر من حقيقة مركزهم وثروتهم » (موعظة رقم ١٨) « الاعتدال لا يستطيع أن يتطلع الى مناجزة الطموح وإخضاعه ، لأنهما لا يجتمعان مطلقاً . هو فتور النفس وكسلها ، كما أن الطموح نشاطها وتوقدها » (موعظة رقم ٢٩٣) . « عُد الاعتدال فضيلة ليخفف من غلواء الطموح الذي يتملك العظماء ، وليتعزى به صغار الناس عن ضآلة ثروتهم وجدارتهم » (موعظة رقم ٣٠٨) . فالخوف والغرور والكبرياء والكسل هي جوهر فضيلة الاعتدال . وهذه الفكرة برهان آخر على أن لاروشفوكو استخلص مواعظه من عصره ، لأنها تنطبق على خلق مازاران . كان هذا الوزير يتكلف البشر اذا اختلت مصالحه ليظهر للناس أن المحن لا تروعه ، ويتصنع الرزانة اذا كلل النجاح أعماله ، ليظهر أن الرفاهية لا تستخفه طربا . ولكن اعتداله الكاذب لم يخف على أحد من معاصريه . أما (فوكيون) [1] الاغريقي - مثلاً - فقد اشتهر بالاعتدال النقي وشهد له به أهل أثينا وأيدت حياته شهادتهم . ولما حكم عليه بشرب السم قال لابنه والكأس في يده : « آمرك وأرجو منك ألا تحمل للأثينيين في صدرك غلا أو ضغينة من أجل موتي » .

جلد الحكماء يستدر إعجابنا ، ولكنه في اعتقاد لاروشفوكو « ليس إلا فن كتمان اضطرابهم في دخيلتهم » (موعظة رقم ٢٠) ، أى أن الحكمة ليست شيئاً آخر غير النفاق . ولو قيد لاروشفوكو هذه الفكرة قليلاً ولم يضعها في صيغة عامة لكان أصح . إذ يروى التاريخ أخبار حكماء كان الجلد عندهم غراما بالفضيلة لا ينال منه

(١) ٤٠٠ - ٣١٧ ق . م ، ولد في أثينا وشب على الفضائل حتى أصبح مثالاً لها ، ونبغ في الخطابة وفي فنون الحرب والسياسة . واكتسب بأعماله وملكاته وفضائله احترام قومه وتقديرهم ، وأقامه الظاميون في أثينا رئيساً عليهم وهو في شرخ صباه . وكان ينصح الشعب في إخلاص تام ويجهر له بما يعتقد في صراحة الواثق بصفاء نيته . وكان ديموستين الخطيب المعروف يرهب جانبه ويسميه (هادم خطبي) . وفي أواخر أعوامه جر عليه الاعتدال في السياسة غضب الشعب ، فحكم عليه بشرب السم . ومات وهو يوصي ولده بأن ينسى ظلم الأثينيين له . ثم عرف الشعب قدره بعد موته فأقام له تمثالا

للأفكار) Histoir naturelle des esprits . وذلك أن بين (أفكار) الكتاب نواحي من التشابه وأخرى من الاختلاف ، فواجب النقد أن يفتش عن هذه النواحي حتى يعثر عليها ويميزها ويبين من خلالها خصائص كل كاتب وأوجه التشابه والاختلاف في الأفكار بينه وبين غيره من الكتاب الذين يكونون معه أسرة فكرية واحدة . وقد لجأ سانت بوف لتحقيق ذلك الى طريقة الطبيعيين Naturalistes باستخدام ما يسمى Morographie أى ترجمة حياة الكاتب تحت ضوء الملاحظة الصادقة والتحليل الدقيق وذلك للوصول الى أغوار فكره ، واكتشاف (الفروق العظيمة الطبيعية) — كما يقول سانت بوف — بين العقول المختلفة .

ولقد تضمنت مجموعتاه الخالدتان Causeries du lundi و Nouveaux lundis هذه التراجم الفكرية الفائقة التي تعتبر بما إحتوته من الأفكار الغزيرة ، والذوق السليم ، خير نموذج لفن النقد الحديث .

علي كامل

خوف أو أمل . ولنضرب مثلاً : سقراط الحكيم الذى جلس فى سجنه قبيل إنفاذ حكم الموت فيـه يحدث أصحابه عن موضوعات فلسفيةهامة ، وهو أشد ما يكون هدوءاً واطمئناناً (راجع فيدون لأفلاطون) . وكيف نعرف أن الهدوء الظاهر يخفى اضطراباً باطنياً ؟ إنه فى هذه الحالة ينم عن نفسه مهما حاول المضطرب إخفاءه . ومثل هذا الانسان لا يسمى حكيما . وإذا لم يبد لنا أثر من آثار الاضطراب ، فليس من حقنا الجزم بوجوده .

وماذا يقول لاروشفوكو عن فضيلة العدل ؟ « حب العدل ليس عند كثرة الناس إلا الخوف من وقوع ظلم عليهم » (موعظة رقم ٧٨) . وهو لم يميز العدل الذى يصدر عن إيهام نفسانى وما يسمى صرخة الضمير وينتج الأعمال الكريمة ، من العدل الذى يصدر عن التفكير والروية وينتج القانون الذى يمنع أعمال الظلم من الوقوع .

ثم يقول عن الطيبة : « الانسان العاجز عن أن يكون شريرا ، لا تستحق طيبته المديح ، والطيبة فى هذه الحالة — أى حالة العجز عن فعل الشر — ليست فى الأغلب إلا خمولاً أو ضعف إرادة » (موعظة رقم ٢٣٧) . وهذه الفكرة نقد لخلق الملكة آن دوتريش

ونذكر عقب الطيبة قوله عن الفضيلة التى تمت اليها بصلة كبيرة ، وهى الشفقة : « الشفقة فى الأغلب شعور بآلامنا فى آلام الغير . إنها تبصر ما هو فى عواقب المحن التى قد تصيبنا . إننا نقدم المعونة للغير لنضمن معونته فى ظروف مماثلة لظروفه . وهذه الخدمات التى نسديها اليه هى فى الواقع معروف نسديه الى أنفسنا مقدماً » (موعظة رقم ٢٦٤) . وهذه الفكرة لا تدعو الى العجب بعد الذى ذكره عن الشفقة فى معرض حديثه عن نفسه . وقوله « فى الأغلب » يدل على إيمانه بوجود الشـفقة النقية التى تتفجر من القلب وتسبق كل تفكير وتأمل ، وتنتج الخير من تلقاء نفسها ، وفى بعض الأحايين على الرغم مما تتطلبه المصلحة الذاتية . وهذه العاطفة ألزم ما يكون للانسانية لأنها بلسم البائسين ، تربط القوى بالضعيف ، والمجدود بالمحدود ، ولن يصيبها العفاء مادام على الأرض بشر .

وتأتى عقب الشفقة فضيلة الشكر على المعروف ، فيقول عنها : « شكر الـكثرة من الناس ليس إلا رغبة خفية فى الحصول على معروف أكبر من الذى حصلوا عليه » (موعظة رقم ٢٩٨) .

ومن الطيبة والشفقة المتبادلة والشكر تنتج الصداقة : « إننا لا نستطيع أن نحب شيئاً لا تربطنا به آصرة ، ولا نتبع غير ذوقنا ولذتنا لما نفضل أصـدقاءنا على أنفسنا . وهذا التفضيل فقط هو الذى يجعل الصـداقة حقة كاملة » (موعظة رقم ٨١) ، أى أننا ننسى مصلحتنا الذاتية فى سبيل أصدقائنا ونجد فى هذا النسيان لذة . وهو يذكر هذه الـكلمة للحط من قيمة هذه العاطفـة ، ولـكنها لذة فيها نبل وبطولة .

ولم يلبث أن أنكر وجود الصداقة التى توهب ولا تباع ، فقال : « الصلح مع أعدائنا ليس إلا رغبة فى إصلاح حالنا ، والملل الناشىء من عناء الحرب ، والخوف من وقوع حادث سيء » (موعظة رقم ٨٢) . وهذه الفكرة مآلها الحرب الأهليـة التى سبق الـكلام عنها . فان لاروشفوكو الذى دفعته مصلحته الذاتية الى الاشتراك فى هذه الحرب ، رغب فى الصلح بعـد أن جرح رأسه وهلك زرعه ودمر قصره ، خشية أن تصيبه ملمات أخرى . وكانت الملكة آن دوتريش أثناء هذه الحرب لا تثق بمن يلتفون حولها لأنها لم ترض طموحهم ، وتوجس منهم خيفة كما يدل على ذلك قولها : « متمناى أن يبقى الليل فى مجثمه أبداً لأنى لا أرى فى النهار إلا أناساً يدأبون على خيانتى » . فالبلاط والثائرون لم يلجأوا الى الصلح إلا فراراً من الملل الناشىء من عناء الحرب ، وخوفاً من وقوع حوادث ألمية ، ورغبة فى إصلاح حالهم » . ثم قال فى موضع آخر : « إن ما يسميه الناس صـداقة ليست إلا شركة ، أو إدارة وتدبير مصالح ذاتية متبادلة ، أو تبادل ضروب المعروف . وهى على الجملة ليست إلا تجارة يتطلع حب الذات فيها دائماً الى شىء يربحه » (موعظة رقم ٨٣) . « إننا نقنع أنفسنا فى أكثر الأحايين بأننا نحب من هم أكثر منا قوة وأشـد بأسا . وفى الحق إن المنفعة هى فقط التى تنتج صداقتنا ؛ ونمنحهم هذه الصداقة ابتغاء خير نروم الحصول عليه منهم ، لا فى سبيل خير نريد أن نهديه اليهم » (موعظة رقم ٨٥) .

تتبـع البحث فى العدد القادم

حسن صادق

العلوم

ما هو الزمن ؟

للدكتور عبد الله صبرى

كثرت المناقشات فى الأيام الأخيرة بين العلماء والمفكرين فى موضوع الزمن حتى سرى الاهتمام بهذا الموضوع الى عامة الجمهور مما دعانى الى ذكر بعض الحقائق والملاحظات التى أسردها هنا مقتبسة من المصادر العلمية الصحيحة

لاشك أن كلا منا يعرف الوحدات العادية للزمن . ولا أظننا ناسين أنه يجب علينا أن نستيقظ غداً فى ساعة معينة من الصباح (مع الأسف !) . وبالرغم من كراهيتنا للمنبه فنحن مضطرون لطاعته — ليس منا من يتجاهل سلطة الزمن ، ذلك السيف الجبار الذى اذا لم تقطعه قطعك ، وليس منا من يتجاهل أحقيته ووجوده ودقته وتأثيره فى أعمالنا اليومية . غير أننا بالرغم من اعترافنا به لهذا الحد قد نقع فى الحيرة عند مايطلب الينا تعريفه أو ذكر كنهه

فبالرغم من وجود الأجهزة الدقيقة التى تبين لنا مقادير الزمن ، كثيرا ما نشعر فى أنفسنا باختلاف تقدير هذه الأجهزة فى أحوالنا النفسية المختلفة . فكثيرا ما نشعر بطول الوقت وبطء مروره عند ما نكون فى انتظار صديق فى موعد ، وعلى العكس نشعر بسرعة مروره عند ما نكون سعداء أو منهمكين فى عمل هام . فهل خاننا احساسنا الزمني فى هذا الشعور ؟ أم هل خانتنا الأجهزة التى تبين لنا الزمن ؟ وعلى أى قياس ينبغى لنا أن نعتبر الزمن ؟ أبأنفسنا أم بالساعات ؟

إذا رضينا بالساعات مقاييس حقيقية للزمن ، فكيف يمكننا أن نتلاعب بها الى الحد الذى نقدمها ونؤخرها فيه حسب إرادتنا كما جرت العادة فى أوروبا عند اعتبار الزمن الصيفى الذى تقدم فيه الساعات ساعة زمانية فى أبريل من كل عام ؟ وكيف يمكننا أن نتلاعب بالتقاويم السنوية فنضبطها ونغيرها حسب الارادة من غير أن يؤثر ذلك كله فى العالم

إن حكاية تعديل التقويم السنوى فى أوائل القرن السادس عشر حكاية معروفة . اذ اتضح فى ذلك الوقت أن التقويم الجريجورى قد أخطأ فى مدة أحدعشر يوماً ، وقررت الحكومات حينئذ تقديم التاريخ بمقدار هذا الزمن ، وبذلك حدث هياج كبير فى الرأى العام ، واعتقد الناس أن الحكومة قد استقطعت من حياتهم هذه المدة لغير ماسبب ، وتظاهروا صائحين : اعطونا الأيام التى أخذتموها من عمرنا ، ألا يكفيكم أن تسلبوا منا نقودنا فتسلبوا منا أيامنا كذلك ؟

وفى الحقيقة أن تعيين وحدة حقيقية ثابتة للزمن من الأمور العسيرة . فقد ثبت لعلماء الفلك أن المدة اللازمة لدوران الأرض حول الشمس تزداد عاماً بعد عام ، أى أن السنة الزمنيـة ليست ثابتة اذ كانت أطول فى الزمن الغابر منها فى الزمن الحاضر بمقدار محسوس . فهناك اتجاه حديث لاعتبار سرعة تحلل عنصر الراديوم مبدأ لتقدير الزمن إذ ثبت أن الراديوم فى تحوله الى رصاص يستغرق أزمنة متساوية تماماً

غير أن هذه الوحدة الزمنية سواء اعتبرت من الجهة الفلكية لدوران الأرض حول الشمس أو من الجهة الطبيعية لسرعة تحلل الراديوم فانها فى النهاية متوقفة على ادراك الانسان وتابعة لاحساسه ، وقد تكون هى فى ذاتها خدعة عقلية . وهذا مما جعل كثيراً من المفكرين يتساءلون اذا كان فى أجسامنا جهاز طبيعى لتقدير الزمن ؟

ومن التجارب التى تدل على احتمال وجود ساعات حيوية فى أجسامنا امكاننا الاستيقاظ مثلا فى ساعة معينة من الصباح بمجرد حصر ذهننا فى ذلك قبل النوم . وهنالك كثير من الناس الذين يمكنهم الحصول على هذه النتيجة بغاية الدقة . وهنالك تجربة مشهورة أخرى أجريت مراراً عديدة بحضور الشهود وهى بأن

ينوم شخص تنويماً مغناطيسياً ، ويؤمر أثناء نومه بأن يكتب كلمة « الزمن » بعد استيقاظه بعد تمام مليون ثانية تماماً (أى بعد حوالى عشرة أيام) . وفعلاً يحدث . فمهما كانت ظروف المنوم فى حياته العادية بعد هذه المدة فانه فى تمام الثانية المليون تماماً يأخذ قلمه ويكتب الكلمة المطلوبة . وبديهى أن المنوم لا يتذكر شيئاً بعد استيقاظه مما قيل له أثناء تنويمه

ويميل كثير من المفكرين على ضوء هذه التجربة ومثيلاتها أن يعتقدوا بوجود هذا الجهاز الحيوى الذى يعد الزمن فى أجسامنا . وقد اكتشف أخيراً تيار كهربائى منتظم يمر فى الجسم فى كل لحظة من لحظات الحياة سواء أكان الانسان نائماً أم مستيقظاً ومهما كانت حالته العصبية أو الصحية مستمراً الى لحظة الموت . فمن الجائز أن يكون هذا التيار هو الذى يعد الثوانى والزمن الذى يمر ونحن أحياء . ومن البديهى أنه لا يمكن اعتبار دقات القلب مقياساً للزمن اذ أن هذه الدقات يتغير عددها وانتظامها بين آن وآخر تبعاً لظروف الانسان وحالته العصبية

غير أن احتمال وجود هذا الجهاز الحيوى الذى يقيس الزمن فى أجسامنا لا يفسر لنا كنه كثير من التجارب الشخصية التى تحدث لكل واحد منا بين آن وآخر ، الا وهى معرفة بعض حوادث المستقبل قبل وقوعها . فكلنا شعر أن كثيراً من أحلامنا تصور لنا صوراً جلية واضحة من المستقبل . وقد أجريت عدة تجارب علمية لاثبات ذلك واتضح منها صحة هذه النظرية ، ويظهر أن الاعتقاد بامكان رؤية المستقبل قد صادف ميلا كبيراً عند كثير من المفكرين والمؤلفين وعند الجمهور فى الأيام الأخيرة . فهناك كثير من الروايات التى تكتب على هذا الاساس وهناك كثير من المؤلفات العلمية التى تبحث فى هذا الموضوع الغريب . فمن أشهر ما كتب حديثا عن ذلك كتاب « تجربة عن الزمن » تأليف الكاتب الأنجليزى ج . و . دن „ Experinent with Time ، by J. W. Duun وهذا الكتاب يفسر تجارب المؤلف الشخصية فى امكان رؤية المستقبل ، ويوضح ذلك بنظرية المتواليات الزمنية . وهناك كذلك كتاب المفكر الانجليزى المعروف هـ . ج ولز H. G. Wollz عن كنه المستقبل „ The Shape OF Things Te Come „

وهو يعطى فى هذا الكتاب تاريخ العالم فى المستقبل القريب لا كخيال يتوهمه ، بل كحقيقة واقعية رآها صديق له عند قراءته لكتاب حقيق للتاريخ مكتوب فى سنة مقبلة

والعلم الحديث لا ينكر رؤية المستقبل . اذ لو أننا تصورنا امكان وجودنا فى طيارة سائرة بسرعة أكبر من سرعة الضوء لما أمكننا أن نرى أو ندرك شيئا من العالم الزمني الموجود ، بل اننا نصبح خارج نفوذ الزمن ونصبح أبديين . وهذا مما يقرب الى العقل البشرى امكان خروج المادة والانسان عن نفوذ الزمن وتقديره ، ويمكن الانسان من تصور رؤية المستقبل كحقيقة واقعية تحدث عند خروج الفكر وقتيا عن دائرة الزمن

ويميل بعض المفكرين الى تفسير رؤية المستقبل بافتراض طبقتين للعقل الانسانى — الطبقة الأولى وهى التى نحس بها بالمقاييس الثلاثة المعروفة والتى نستعملها فى حياتنا اليومية ، وهى التى تشعرنا بمرور الزمن . والطبقة الثانية وهى التى نحس بها بالمقياس الرابع (وهى نتيجة نظرية اينشتين المعروفة التى ينسب فيها الزمن للمسافة) والتى تعطينا فى بعض الأوقات قوة على ادراك المستقبل اذ تخرجنا وقتيا عن نفوذ الزمن وتجعلنا جزءا من الابدية اللازمنية

ومهما كان مقدار الصحة فى هذه الافتراضات والنظريات ، فليس هناك من شك فى ان هذه المعضلة الغريبة المبهمة ، الا وهى الزمن ستكون بيت القصيد فى كثير من الأبحاث العلمية والاكتشافات التى قد يتم بها تغيير جوهرى فى تفكير البشر فى المستقبل القريب والتى قد توصلنا الى بداية الطريق الطويل الذى أراد الله ان يصل البشر فى نهايته الى الحق المطلق .

عبد الله صبرى
دكتور فى الهندسة من جامعة كامبردج

اســـحاق نيوتن

١٦٤٢ — ١٧٢٧

« من فاق جميع الرجال فى النبوغ » ؟ (١)

بقلم مصطفى محمود حافظ

العالم قبل نيوتن

قد يبدو أن فى دراسة حالة العالم العلمية كما وجدها نيوتن ، وذكر الحقائق التى كانت معروفة ومتراكمة من قبله ، والتى درسها نيوتن فأخرج منها للعالم تلك القوانين التى رفعته الى الذروة ، قد يبدو أن فى ذلك غضا من عبقريته . ولكن ذلك غير حقيق ، فالرجل الذى تمكن أن ينتزع من الرءوس الأفكار التى كانت تجول فيها حيرى لا تدرى سبيلاً الى الظهور ، يستحق كل ما أعطى من شرف حتى ولو جاء مبالغاً فيه من أبناء جلدته الذين يجعلون منه أكبر مفكر ظهر على الأرض

كانت أوربا قد أخذت تتحرر فى أوائل القرن السابع عشر من الجمود العلمى الذى لازمها فى العصـــور الوسطى ، والذى كان سببه الأعظم محاربة رجال الكنيسة لكل فكرة علمية فيها مخالفة لتعاليمهم الدينيـة ، وكذلك اقتصار المتعلمين على البحث الكلاسيكى ودراسـة كتب الأقدمين الفلسفية دون الاستعانة بالملاحظة والتجربة

فكان العالم قد بدأ ينبذ « نظرية بطليموس » فى تركيب الكون ، وهى التى كانت تقول بأن الأرض وهى مهبط أرقى المخلوقات (الانسان المفكر) يجب أن تكون مركز الكون ، تدور حولها الشمس والكواكب والنجوم ، ويرحب بنظرية « كوبرنيج » التى تقول بأن الأرض كرة تدور حول نفسها فيحدث الليل والنهار ، وتدور حول الشمس مع الكواكب فيحدث اختلاف الفصول . وكان الخطأ الذى وقع فيه « كوبرنيج » من اعتباره مدارات الكواكب حول الشمس دوائر قد أصلحه « تيخوبراه » و « كبلر » ، الأول بما سجله من مشاهدات والثانى بما استنتجه رياضياً من هذه المشاهدات . فوصلا الى معرفة أن مدار الكوكب حول الشمس قطع ناقص والشمس فى احدى بؤرتيه

وجاء جاليليو وتمكن بمنظاره من تأييد فكرة النظام الشمسى الجديد برؤية مثل هذا النظام فى الكون فى المشترى واقماره . وكذلك عرف معنى القصور الذاتى ، ووضع أساس علم الديناميكا بتوصله الى قوانين الحركة التى تنسب خطأ الى نيوتن . وبذلك يكون نيوتن قد ولد وكيفية تحرك الأجسام على الأرض وتحرك الكواكب حول الشمس قد عرفت ، ولكن السبب فى ذلك لم يصل اليه غيره . ولقد حاولوا قديماً معرفة ذلك السبب ولكن كل ما وصلوا اليه هو أنه اذا اختارت الأجرام السماوية أن يتحرك بعضها حول بعض بنظام خاص فهذا من شأنها لا من شأن الانسان ساكن احد هذه الأجرام

تلك كانت حالة علم الفلك بغض النظر عن خزعبلات ما كان يسمى « علم » التنجيم . أما فى الرياضة فقد كانت كتب اقليدس فى الهندسة وأرشميـدس فى الرياضيات معروفة من زمن بعيد . والجبر كان يشارك الهندسة فى قدمها إلا أنه كان معقداً ليس بالسهولة التى نعرفها عنه الآن . والحساب كان مهمة شاقة ، حتى أن مستر صمويل بيبس الذى صار فيما بعد رئيساً للجمعية الملكية بلندن يقول فى يومياته أنه كان بعد أن نال درجته من جامعة كامبردج يسلى نفسه كل مساء بحفظ جدول الضرب ! أما حساب اللوغريتمات فكان نابيير قد اخترعه فى سنة ١٦١٧

وفى الكيمياء كان العلماء لا يزالون فى بحثهم وراء حجر الفلاسـفة ، وتحويل المعادن الخسيسة الى أخرى ثمينة ، ولو أن بعض العناية كانت قد اتجهت الى استخدام الكيمياء فى صنع الأدوية . ولكن حال هذا العلم لم يصلح إلا بعد أن أثبت نيوتن أن العـــالم مساق بقانون طبيعى عام ، فاتجهت العناية الى ايجاد القوانين التى تحكم العالم المادى والتغيرات التى تطرأ عليه ، حتى أمسك دالتون بطرف الخيط فى ســنة ١٨٠٨ فوضع مبادىء النظرية الذرية

أما فى البصريات فقـد كان قانونا الانعكاس معروفين لدى العالم العربى الحسن بن الهيثم فى أوائل القرن الحادى عشر وكذلك تركيب العين وكيفية رؤيتها للأجسام . وقد ذكرنا أن جاليليو

(١) Qui genus humanum ingenia Superavit.
الجملة اللاتينية المحفورة على تمثاله فى كلية ترنتى بكامبردج

كان قد اخترع التلسكوب ، وفى نفس الوقت تقريباً اخترع صانع نظارات يدعى « زكريا يوانيدس » الميكرسكوب . وقبيل زمن نيوتن توصل «سنل» الى معرفة قانونى الانكسار ، ولو أن الذى وضعها فى صيغتها المعروفة الآن هو « ديكارت »

تلك فكرة موجزة عن حالة العلوم التى اشتغل فيها نيوتن وكان موفقاً كل التوفيق

طفولته وأيام المدرسة فى جرانتام :

فى يناير سنة ١٦٤٢ وفى مزرعة صغيرة تدعى « وولثورب » جنوب « جرانتام » أبصر اسحاق نيوتن الدنيا بعد أن كان اسحاق نيوتن الأب قد أغمض عينيـــه الى الأبد . ولا يعرف شىء عن سنواته الثلاث الأولى التى تزوجت بعدها أمه ننزحت مع زوجها الى مقر عمله تاركة نيوتن فى كفالة جدته من أمه ، فأرسلته الى مدرسة القرية الصغيرة لينال من التعليم ما كان يُظن أن فيـه الكفاية لذلك العقل الصغير الذى خلق ليكون جباراً ، ولكن خاله رأى قبساً من عبقريته فكان سبباً فى ارساله الى مدرسة الملك فى « جرانتام » ، تلك المدرسة التى رأت بزوغ نجم من ألمع النجوم فى العلوم ، والتى لا تزال تحتفظ حتى اليوم على خشب احدى نوافذها باسم « ا . نيوتن » محفوراً فيها . كان فى أول أمره خجولاً غبيا بعض الشىء يناله من زملائه الشىء الكثير من الاستهزاء الذى ازداد حتى وصل الى أن ركله زميل ضخم الجثة فى فناء المدرسة . عند ذلك انفجر ما كان كامناً فيه من عبقرية ، لأنه لم يكتف بأن ثأر لنفسه من هذا الزميل الضخم بأن تغلب عليه جثمانياً وجعله يدلك أنفه فى حائط المدرسة ، بل كان عليه أن يفوقه فى الشئون المدرسية لأنه كان يفوق نيوتن فى ذلك . وقد نال ما ابتغى وأصبح « أول » المدرسة التى كانت تتكون من فصل واحد فيه عدة مجاميع ، واحتفظ بذلك اللقب حتى غادرها

كان نيوتن مغرماً فى طفولته بصنع الألعاب والآلات الصغيرة ليعرضها على صديقاته الصغيرات ، وكانت أحبهن اليه كما يقول سير . ج . ج . تومسن « مس ستورى » التى ظلت حبيبته الوحيدة ، والتى لم يتزوجها لأنه لم يتزوج . فكان يصنع الطيارات من الورق ويضع فيها شمعاً موقداً فيظنها الفلاحون البسطاء مذنبات . وكان ماهراً فى عمل المزاول والساعات المائيـــة ، وقد أدار طاحونة هوائيـة بأن حبس بعض الفيران فى صندوق وجعلها فى حركة دائمة ، وكان ينتهز هبوب العاصفة ليقفز فى الهواء مرة مع الريح وأخرى ضده ليقدر سرعته

ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره رجع مكرهاً من مدرسته فى « جرانتام » الى المزرعة الصغيرة فى وولثورب » ليساعد أمه التى رجعت اليها بعد وفاة زوجها مع ولد وابنتين كانا ثمرة هذا الزواج الثانى . ولكنه لم يلبث بمعونة خاله أن رجع الى « جرانتام » فى السادسة عشرة وظل ثلاث سنوات يعمل استعداداً للذهاب الى « كامبردج » مكافحا الفقر الذى ظل ملازماً له زمناً طويلا

دراسته فى كامبردج

غادر نيوتن جرانتام فى يونيو سنة ١٦٦١ وهو فى التاسعة عشرة الى كامبردج وهناك التحق بكلية « ترنتى » كطالب خادم يقوم بتقديم الطعام لزملائه فى نظير أكله بدون أجر . ولا يعلم إلا القليل عن سنواته الأولى فى كامبردج ، ومن ذلك أنه أعفى من حضور محاضرات المنطق لأنه كان يعرف منه قدر ما يعلم أستاذه ، وأنه درس بنفسه كتاب البصريات لكبلر قبيل إلقاء محاضرات هذا الموضوع حتى دُهش أستاذه من مقدار تمكنه من هذا الموضوع ، وقد لازمه هذا الميل الى البصريات طوال حياته . وقد كان يتتلمـــذ لأستاذ هو أحد أعلام عصره فى الرياضيات يدعى « اسحاق بارو » وقد عرف القدرة الرياضية الكامنة فى تلميذه فشجعه على التقدم نقرأ كل الكتب الرياضية ، إلا أنه كان دائماً ضعيفاً فى الهندسة ، حتى أن ممتحنيه عابوا عليه هذا الضعف فى احد امتحاناته . وقد نال درجته الجامعية فى ١٦٦٤ وغادر كامبردج الى مزرعته قبل أن يصل اليها الطاعون التاريخى المشهور الذى سبب ترحيل كل طالب الى بلدته

وقد قضى نيوتن فى المزرعة مكرها سنتين كاملتين كان فيهما بعيدا عن مكتبة الجامعة وأجهزتها ولكنه استعاض عن ذلك بما كان قد حفظ من معلومات فى ذلك العقل الراجح الذى أخرج للعالم فى هاتين السنتين اربعة اكتشافات كل منها يكفى للتخليد لو انه صدر من شخص غير نيوتن

اكتشافاته الرياضية الأولى

النظرية ذات الحدين : ظهرت عبقرية نيوتن عند اول ظهورها فى الرياضيات مع انه لم تبد عليه وهو فى كامبردج علائم هذا النبوغ ، وقد كان اول انتاج رياضى له هو اكتشافه « نظرية ذات الحدين »

وهي النظرية التي نتمكن بواسطتها بدون اجراء عملية ضرب من ايجاد حاصل ضرب مقدار على صوره (س + ص) في نفسه اى عدد من المرات ، او بمعنى رياضى آخر ايجاد ناتج رفع هذا المقدار الى اى أس وترتيب حاصل الضرب فى شكل منتظم سهل

قد يكون هذا الاكتشاف طبيعيا مع شخص له نباهة نيوتن الرياضية ودقة ملاحظته ، ولكن اكتشافه الرياضى الآخر كان نتيجة حبه للظواهر الطبيعية وميله لفهم دقائقها وحل معضلاتها

حساب التفاضل والتكامل : كان ارشميدس واقليدس قد حاولا ان يقدرا بالضبط مساحات الاشكال المحاطة بخطوط منحنية ولكنهما لم يفلحا ، وجاء بعدهما كبلر وجاليليو واشتدت بهما الحاجة الى ذلك لتطبيق قانون كبلر الثانى فى حركة الكواكب وهو القائل « ان المستقيم الواصل بين الكوكب والشمس يمسح فى الفضاء مساحات متساوية فى ازمنة متساوية » فنالهما من الفشل ما نال ارشميدس واقليدس . فجاء ذلك الشاب الذى لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره وحل ما عجز عنه هؤلاء ، وذلك باكتشافه نوعا آخر من الرياضة هو حساب التفاضل وحساب التكامل

فاذا أعطينا معادلة رياضية تشمل مقدارين احدهما يتغير بالنسبة لتغير الثانى ، وذلك كتغير المسافة التى يقطعها قطار بتغير الزمن فان حساب التفاضل يمكننا من معرفة معدل تغير المسافة المقطوعة بالنسبة الى الزمن فى أية لحظة كانت ، اى معرفة سرعة القطار فى اى لحظـــة

اما حساب التكامل فهو الذى تمكن به نيوتن من ايجاد مساحات الأشكال المحدودة بمنحن او اكثر وذلك بتقسيمها الى اشكال متناهية فى الصغر ، ثم ايجاد مجموع مساحاتها فى حدود معينة وهو ما يمكن الفلكيين الآن من معرفة وقت حدوث الخسوف والكسوف بتلك الدقة التى تذهلنا احيانا

قانون الجذب العام : والآن جاء دور ذلك الاكتشاف الهائل الذى تضمحل بجواره دائما اكتشافاته الأخرى على خطورتها . ذلك القانون الذى غير نظر الانسان الى الكون

كان كبلر قد عرف قوانين حركات الكواكب حول الشمس ولكنه لم ير علاقة بين حركات الكواكب وحركة الأجسام التى تسقط على الارض . وجاء جاليليو فدرس قوانين سقوط الاجسام بالتفصيل وعرف ان الاجسام تقصر قصورا ذاتياً عن ان تغير حالتها من السكون أو الحركة المستقيمة . ثم جاء نيوتن فرأى من خلال ذلك أخطر قانون انقلابى وصل اليه الانسان . لقد ربط بين قوانين كبلر الفلكية وقوانين جاليليو الديناميكية فكشف عن النظام الكونى العام فى قانون الجذب العام

فانه كما يريدنا فولتير ان نعتقد ، كان جالسا فى حديقته بعد عناء صرفه فى حل مشكلة رياضية او صقل عدسة زجاجية عند ما رأى تفاحة تسقط من أعلى الشجرة . فسأل نفسه ذلك السؤال القديم الذى لم يكن قد أجاب عنه أحد ، سأل نفسه عن علة سقوط التفاحة . وهنا كان قد قدر لتفسير الحركة الكونية الا أن تظل لغزا فاشتغل بها عقل ذلك الشاب الصغير . لقد ذهب عقله الى ما هو ابعد من التفاحة وسقوطها . هى تسقط لأن الارض تؤثر فيها وهى بعيدة عنها فى أعلى الشجرة ، فماذا يحدث ان هى ارتفعت الى ما هو أبعد من ذلك ؟ لقد رآها نيوتن بعيني عقله لا تزال تميل الى السقوط على الأرض ، ولكن بقوة تصور انها تتناقص تبعاً لقانون التربيعى العكسى . حتى اذا ما وصل بتفاحته الى القمر تركها ليأخذ القمر، فرآه لابد وان يكون متأثرا هو الآخر بقوة الارض، اذن لا يمكن أن تكون حركة القمر حول الأرض ، وتقيده بهذه الحركة وعدم انطلاقه فى خط مستقيم على حسب قانون التصرر الذاتى ، الا يمكن ان يكون ذلك راجعاً الى تأثره بنفس القوة التى تؤثر بها الارض على التفاحة ؟

كان فى هذا الألهام بدء ظهور القانون العام الذى يحكم حركة الماديات فى الكون ، فانطلق نيوتن يستعين بالرياضة على تحقيق ما وصل اليه فكان فى حاجة الى معرفة نصف قطر الكرة الأرضية حتى يقارنه ببعد القمر عن مركز الأرض ، وهنا شاء القدر ألا يظهر هذا القانون فى سنة ١٦٦١ بل بعدها بستة عشر عاما فخانت نيوتن ذاكرته فى تذكر نصف قطر الأرض فاعتبره ٣٤٤٠ ميلا وهو ٣٩٦٠ ميلا ، ولم يتمكن من التحقق من صدق ذاكرته لانزوائه فى مزرعته وبعده عن كامبردج ومكتبتها ومراجعها فكان ما وصل اليه رياضيا لا يتفق مع المشاهدات العملية . عندذلك شعر بالخيبة فى ذلك الأمل البراق الذى كان يراه ، وهو الوصول

(البقية على صفحة ١٠٤٠)

القصص

الخـــبز الأسود

لأناتول فرانس

ترجمة حبيب المعوشي

كان فى مدينة فلورانسا العظيمة بتقادم عهـدها ، الخالدة بنفيس متاحفها ، رجل وافر الثراء يقال له نقولا نزلى ، وكان اذا طلعت الشمس يتروّى فى مخدعه ، ويلبث سحابة نهاره جالساً الى مكتبه يخط فى دفاتره أرقاماً وينقل أخرى . وكان عاهل البلاد وبابا الكثلكة مدينين له بمبالغ باهظة ، ولم يكن يعامل المراوغين والمكرة وخافرى الذمم محاذرة منهم ، ومخافة أن يقع فى حبائلهم ويعرض أمواله للضياع . وكان من أجل هذا يقظاً حذرا ، وقد جمع أموالاً وافرة ، وجرّد مدينيه الكثيرين من أملاكهم ومتاعهم ومقتنياتهم . وكان أهالى فلورانسا يجلونه ويخصونه بالاحترام من أجل ثرائه ، وكان يقطن قصراً له لا يدخله النور إلا من كوّى ضيقة مستديرة ، لأن الحِرْص والحَرْس يحدوان الأغنياء الى تحصين دورهم وإيصاد أبوابها ليصونوا ما حشدوه فيها من أموال وكنوز وحلى ، جمعوها بالافك والمخاتلة والخداع . ومن أجل هذا أيضاً كان قصر نقولا نزلى محاطاً بالأسوار العالية المنيعة والسلاسل الحديدية الصلبة الثقيلة .

وكان قد استقدم أمهر الفنانين وأحذقهم ، فرسموا له على جدران القصر الداخلية صور فتيات فاتنات ، يرمزن الى أسنى الفضائل وأسماها ، وصور أحبار اسرائيل وأنبيائه وملوكه . وكان معلقاً على جدران بعض الغرف كثير من النسائج الموشاة بفتوحات الاسكندر وتربستيان ووقائع حروبهما العظيمة كما هى متناقلة بالتواتر ومدونة فى بطون التواريخ .

وكان يطيب لنقولا نزلى هذا أن يظهر سواطع ثروته بما كان يأتيه من أعمال الخير : فأنشأ على نفقته خارج أسوار المدينة مستشفى نقشت على أفاريزه رسوم ترمز الى أمجد أعمال حياته . وقد علق الفلورانسيون رسمه فى محراب المعبد الجديد المشيد على اسم العذراء مريم ، عرفاناً بجميله ، وتخليداً لذكرى مبالغ وافرة تبرع بها لاتمام بناء هذا المعبد . وقد مثل فى هذا الرسم مضموم اليدين جاثياً على قدمى العذراء . وكان يدل عليه فى صورته هذه وجهه الشاحب الكالح ، وعيناه الحادتان ، وقبعته الحمراء ، ودثار مفرى اعتاد الظهور به فى المجتمعات . وكان رسم زوجه «منى يسمانتونا» معلقاً فى المحراب أيضا فى الجهة المقابلة ، قرب صورة العذراء ، وكان الرسم يمثلها فى موقف الصلاة وعلى وجهها بادية سمات الكآبة والخفر والخشوع دلالة على احتفاظها بعفافها

وقد كان نزلى فوق هذا فى طليعة المواطنين الذين أسسوا الجمهورية ؛ فلم يخالف يوماً شيئاً مما سن فى البلاد من شرائع ووضع من نظم ، ورسم من مراسيم ، وفرض من قوانين . ولم يُعن قط بشؤون البؤساء والمعوزين ، ولم يتدخل فى أمر من قضى عليهم رجال الحل والعقد بالعقاب أو التغريم أو الابعاد ، بحيث لم يفقد فى أعين القضاة ورجال السلطة شيئاً مما أحرزه لديهم من مكانة ومقام ، بوافر ثروته وحسن سيره وانقياده .

ففى ذات مساء من أيام الشتاء عاد الى قصره متأخراً على غير عادته ، فوجـد نفراً من المتسولين نصف العراة محتشدين امام الحديقــة . فلما ابصروه احتاطوا به وبسطوا له ايديهم مستجدين . فزجرهم بعنف وانهال عليهم بالسب والشتم واقصاهم عنه بفظ الكلام وقارسه فتفرقوا حلقات واجمين جزعين — غير ان الجوع وقد أخذ مأخذه منهم حملهم على لم شعثهم واعادة الكرة على نزلى فرجعوا كأنهم مراجل تغلى واحتاطوا به ثانية بشكل نصف دائرة وطفقوا يضجون ويولولون ويلغطون ويصيحون صيحات تماثل عواء الذئاب الضارية واخذوا يسألونه باصوات ملؤها التهدج والتهديد خبزاً يأكلونه فهم بالانحناء على الأرض

ليلتقط حجارة يرشقهم بها ، ولـكنه أبصر احد غلمانه آتيا وعلى رأسه طبق عليه ارغفة من الخبز الأسود جاء بها ليفرقها على المشتغلين فى اصطبلات القصر ومطبخه وحديقته فأومأ اليه كى يدنو منه ، ولما ا[illegible]ب شرع نزلى يلقى بملء يديه على اولئك الجياع ذلك الخبز الأسود فهاجوا وماجوا وهجموا فى هرج ومرج يدفع بعضهم بعضاً متزاحمين متسابقين على تلقف تلك الأرغفة والتقاطها ، ولما خف صخبهم وسكن لغطهم وهدأت ثورتهم وحنقهم دخل نزلى فى داره ونام ، وفيما هو مستغرق فى رقاده أصيب بضربة مخية أودت بحياته وكان موته سريعا جدا بحيث خيل اليه انه لم يزل بعد على قيد الحياة . وبعد هنيهة شعر أنه فى مكان مقفر مظلم ثم ابصر ميكائيل رئيس الملائكة آتيا اليه قدماً وهو يحمل قسـطاسا ذا كفتين ، فلما ادركه الملك اخذ يضع فى احدى الـكفتين ما كان فى حيازة نزلى من حلى أرامل واموال أيتام وقطع ذهبية وحجارة كريمة ونقود مختلفة كان أحرزها بالغش والربا الفاحش — ففهم نزلى انه قبض وانه انما جىء به الى ذلك المكان ليحاسب

فقال للملك : أما وقد وضعت فى هذه الـكفة ما جمعته بالغش والحرام فمن العـدل أن تجعل فى الـكفة الأخرى ما عملته من مبرات وصنعته من حسنات فأرجو منك ياسيدى أن تجعل فيها ما شدته من معاهد للبر والعبادة : ضع المستشفى العظيم الذى أقمته خارج أسوار المدينة ، ضع القبة الضخمة التى أنشأتها لمعبد العذراء مريم ، ضع ... فقاطعه الملك وقال : هدئ روعك يا نقولا واخلد الى السكينة فلن أغفل شيئاً من صالح أعمالك . قال هذا ووضع بيده اللبقة اللطيفة ذينك المستشفى والقبة فى الـكفة الأخرى ولـكن الأولى ظلت راجحة . فقال نزلى : فتش جيداً لعلك تجد لى أعمالاً صالحة أخرى ، ومع هذا أراك أهملت جرن الماء المبارك الذى قدمته لـكنيسة القديس يوحنا ، وغاب عنك منبر الخطابة الذى صنع على نفقتى فى معبد القديس اندراوس ، ونسيت بنوع خاص تمثال عماد السيد المسيح فهو عظيم جداً وقد كلفنى نحته الدقيق البديع المتقن مبالغ طائلة . فجعل الملك كل هذا فى الـكفة أيضاً ولـكن رجحان الأولى مازال عظيما — فامتقع وجه نزلى روعة وجزعاً وغشى جبينه عرق بارد فأدرك أنه هالك ، وتدبر أن الجحيم المعد للخطاة والاشرار سيكون مصيره ، ثم التفت الى الملك وقال : أأنت واثق يامولاى من ميزانك وصحته ؟ فابتسم الملك وقال : ان قسطاسى وان خالف بشكله موازين صرابى باريس وصيارفة البندقيـة إلا أنه فى منتهى الدقة والضبط : فقال نزلى أنى يكون هذا ؟ أفلا يزيد فى قسطاسك وزن القبة الضخمة والمنبر الـكبير والتمثال العظيم والمستشفى الفسيح العالى بكل ما فيه من أسرة وعدد ومعدات على وزن قلامة الظفر وقشة الحقل وريشة الطائر ؟ فقال الملك : لست أدرى ولـكن الأمر كما ترى ، فمساويك وآثامك لا تزال حتى الآن ترجح كثيراً على مبراتك وحسناتك . فقال نزلى : وهو يصر بأسنانه وفرائصه ترتعد وركبتاه تصطكان هلعاً ورعباً : يا لشقائى ! وما عسى أن يكون مصيرى ؟ أأنا هالك ؟ وهل الى النار مآلى ؟ فقال الملك : رويدك يا نقولا انى لم انجز بعد عملى إذ بقى وزن هذه ، مشيراً الى أرغفة الخبز الأسود التى ألقاها نزلى مكرهاً على الفقراء المعوزين فى مساء اليوم السابق ، ثم جمع الملك تلك الأرغفـة وضمها الى ما فى كفة الأعمال الصالحة فاذا بهذه الـكفة قد تحركت وبدأت تثقل وتهوى الى أسفل ، بينا الـكفة الأخرى أخذت تخف وتشيل ، ولبثت حركة الـكفتين تتراوح هنيهـة بين هبوط وصعود حتى سكنت ، فاذا الـكفتان متعادلتان وزناً ومستوى . فدهش نزلى مما رأى وكأنه لا يصدق عينيه . فقال له الملك : انك والأمر كما ترى لا تستحق الجنـــة جزاء ولا تستوجب النار عقاباً ، فعد اذن الى فلورانسا ، وواصل الاحسان على الفقراء عن رضى ولو بالخبز الأسود ، ولا تدع أحداً يحس بالخير الذى تصنعه ، وثق بأنك إن فعلت هذا وواظبت عليه تخلص ، إذ لا يكفى أن يفتح الله أبواب الجنة للص النادم وللبغى التى تحوبت بغاها وندمت عليه وبكت من أجله وتابت عنه ، بل يجب أن يخلص بواسع رحمته من النار غنياً أيضاً ، فـكن أنت هذا الغنى ووال الاحسان ولو بالخبز بعـد أن تبينت مبلغ وقعه وثقـله فى قسطاس العدل الالهى .

قال الملك هذا واختفى ، وبعد قليل أفاق نزلى من رقدة الموت وجلس فى سريره يتأمل فيما حدث ويعجب مما رأى . ثم نهض بعـد أن وطد النفس على العمل بنصح الملك وموالاة المعوزين بالصدقات والحسنات لينال الخلاص — وهكذا لبث طيلة ثلاث سنوات قضاها على الأرض بعـد موته الأول كثير الاشفاق على الفقراء ، وافر الرحمة على البؤساء والمعوزين ، مواظباً على فعل الخير مواصلاً أعمال البر والصلاح .

حبيب المعوشى

الكتب

المسرح الغنائى

على ذكر « غرام الشعراء »

تأليف الأستاذ احمد رامى

كتب مرة أديب من الشبان مقالاً فى جريدة السياسة الأسبوعية الغراء منذ سنوات عدة حاول فيه أن يلفت أصحاب الغناء المبرزين الى أن المرتبة التى وقفوا عندها ليست جديرة بهم ، وأن الغناء على تخت مكون من « أساطين رجال الفن » ليس قصارى ما يصل اليه فن الموسيقى ، بل إن الميدان الفسيح للغناء هو المسرح والأوبرا . غير أن تلك النصيحة آلمت كبيراً من كبراء أهل صناعة الغناء وظن أنها تمس كرامته وفنه ، وإلا فهل يليق أن يقول أحد إن غناءه يقصر عن غاية ؟ أو أن فى الامكان أبدع مما كان ؟ فهب الى الرد على الكاتب واقبل على تجريحه بما لا يتفق ووداعة الفن الجميل . وانني اليوم أجرؤ أن أكرر ما قال ذلك الأديب فى مقاله السالف ، فان أغانى هذه الأيام تكاد تجعل السماع حملا ثقيلا ، وتكاد تجعل الاهتزاز اليه نوعاً من الصناعة المتكلفة . ولا شك أنه قد آن لمصر أن يكون لها مسرح ثابت للأوبرا يجول عليه كبار المغنين من الجنسين ويمدهم فيه بالوحى والروح شعراء مصر المبرزون .

والحق أن موت المسرح الغنائى هو الذى أمات الرواية الشعرية ، وهاهى آية تدل على استعداد شعرائنا للتأليف والابداع اذا وجد من يغرد بقولهم ويصدح بشعرهم .

وها هو الأستاذ رامى يترك المقطعات حيناً ليظهر للملأ أنه يستطيع إذا وجد من المسرح حاجة اليه أن يخلق قصة شعرية رائعة . فان بين ايدينا اليوم قطعة « غرام الشعراء » تجمع بين ما اعتاده الناس من عذوبة شعر رامى وما يتطلبه المسرح الغنائى من تصوير بديع وتأليف متسق . وقد جعلها الشاعر فصلا واحداً

ونظنه قد قصد الى ذلك قصداً . فما نظنه إلا عارضاً على أصحاب الغناء بضاعة جديدة لعله يستطيع أن يرغبهم فى ترك البسائط والطموح الى آفاق أعلى وأكثر سمواً .

وإن رامى إذا فعل ذلك فانما يرجى منه أن يلقى الى الأدب بالآية الكاملة : بالقصة الشعرية الطريفة : بما هو جدير به .

م . ف . ا

كتاب القاهرة

للاديب عبد الرحمن زكى

ملازم أول بالأشغال العسكرية

هاهو ذا مؤلف يريد ان يقول شيئا فيعرب فى قوله . ان كثيرا مما نسمع من الأقوال لايعدو ان يكون صوت انين غير معرب ، أو صوت نشوة لايتبين السامع منها إلا صيحة تدوى فى الفضاء ، ولكن مؤلف « القاهرة » اراد ان يصف القاهرة فرسم خطة ثم انفذها ، وعرض على الناس كتابا يستطيع أن يقول لهم ان يقرأوه .

بدأ بوصف فسطاط عمرو ، ثم عسكر بنى العباس ثم قطائع ابن طولون ، ثم القاهرة المعزية ، ثم ماطرأ عليها من الزيادة فى ايام الدول التركية المتعاقبة ، ثم أردف ذلك بوصف مختصر عن المقريزى لما كان فى ايامه من خطط القاهرة ، واوضح ذلك كله بخرائط دقيقة واضحـــة .

ففكرة الكتاب فكرة علمية بديعة يشكر المؤلف عليها شكراً عظيما

غير أنه لم يوفق فى انفاذ الخطة كما نظنه رسمها لنفسه ، فان كتابا يصف القاهرة ينبغى أن يغلب عليه الوصف لما فى القاهرة ، وما اكثر مافيها من مخلفات العصور المتعاقبة ! غير انه قنع بأن يغلب على كتابه ذكر تاريخ القاهرة وتطور عمرانها . فالكتاب أجدر أن يعد كتاب تاريخ نمو القاهرة لا كتاب وصف لها . ولسنا بسبيل التماس الاسباب التى دعت المؤلف الى ذلك ، غير اننا نرجو

روائع من قصص الغرب

ترجمة الأستاذ كامل كيلانى

أذكر أننى منذ سنوات خمس ، كنت أتحدث مع صديق حول رسالة الغفران التى هذبها الاستاذ كامل كيلانى ، فقد كنت أقرأ الرســالة مع الصديق قراءة الدرس والتحليل ، فلما أن فرغنا من تلاوتها ، قلت لصاحبي : والله ان الاستاذ كيلانى ليستحق منا الشكر لما صادفنا فى هذه الرسالة من لذة وجمــال . قال بل ان أبا العلاء لأجدر منه بذلك الثناء ، أما الاستاذ كيلانى فماذا قدم الينا الا أن تناول رسالة أبى العلاء ، فحذف منها شيئا وأثبت شيئا ؛ قلت إن رسالة أبى العلاء لبثت مطمورة بين أكداس الـكتب لا يجرؤ عليها الا صفوة الخاصة وهم قليلون . أما وقد هذبها الأستاذ كيلانى ، وشذب أطرافها النابية ، وازال ما يعترض سبيلها من عثرات ، فقد باتت معبدة ميسرة للـكثرة الغالبة من القراء ، تتداولها أيدى الطبقة الوسطى من المتأدبين ، بعد أن كانت ارستقراطية مقصورة على طبقة الأشراف ! واذن فمن الاسراف فى الغبن وانـكار الجميل ألا نعترف بذلك المجهود — وأشباهه — الذى يهيىء للقراء مالم يكن لهم اليه من سبيل

واذا كانت التجارة فى عالم الاقتصاد دعامة قوية يرتـكز عليها البناء الاقتصادى بأسره ، وهى ليست انتاجا فى ذاتها ، انما هى وساطة بين المنتج والمستهلك ، ففيم الـكفر بقيمة الوساطة الأدبية بين الـكاتب والقارىء ؟ ولولاها لما اتصل القراء بأكثر ماتسيل به الأقلام فى انحاء الأرض الا فى دائرة ضيقة وحيز محدود . وان صح هذا القول بصفة عامة ، فهو أشد صدقا وأثبت يقينا بالنسبة الى مصر ، لأنها اليوم فى عصر ترجمة أكثر منه عصر تأليف ، فالمترجم الذى يقدم الى قراء العربية صورا من أدب الغرب ، انما يسدى اليهم يدا بيضاء ، لأنه يقدم اليهم غذاء صالحا ما كانوا ليونقوا اليه لولا ما بذل من مجهود

نقول ذلك بمناســبة مجموعة القصص التى عربها الاستاذ كامل كيلانى . فهى من روائع الأدب الغربى حقا ، قد وفق فى اختيارها وتعريبها إلى حد بعيد . وحسبك أن تعلم أنها طائفة من قصص بوكاتشو ، وفولتير ، وديدرو ، وسرفنتس ، وفـلوبير ، وسويفت ، وروسو وغير هؤلاء من أئمة الأدب فى الغرب !

ولسنا نشك فى أن القصــة القوية الرائعة التى تحلل النفس الانسانية فى أعماقها ، وتحرج سرها الدفين من مكمنه ، فتضع تحت أبصارنا ما استتر فى أحنائها حتى نلمس مواضع النقص بارزة واضحة ، لهى من أفعل الادواء لما ينتاب جيلنا من أمراض خلقية تـكاد تهز كياننا من أساسه ، والتى تدعو الى تضافر الأقلام جميعا فى درء خطرها الدائم .

فهذه المجموعة القيمة وعاء اجتمعت فيه مجموعة مختلفة من طباع الانسان ، وتلمح فى ثناياها مثلا عليا تؤثر فى نفس القارىء من حيث يدرى ولا يدرى . ولا بد أن نذكر — ونحن بصدد هذا الـكتاب — جودة الطبع والورق ، وجمال التنسيق وسلامة الذوق .

ز . ن . م

أن يوفق فى مستقبل أيامه — واغلب الظن أنه لايزال فى شبابه الاول القوى — الى ان يكمل هذا البحث الطريف فيجعلنا نرى مميزات كل عصر ومخلفات كل دور من ادوار نمو القاهرة حتى يصبح ذكر القصة التاريخية ثانويا فى ظهر الصورة بدل أن يكون كما هو الآن ابرز شىء فيها .

م . ف . ا

مسلمو السودان الغربي

(بقية المنشور على صفحة ١٠٠٤)

بالسلطان حسب الأوامر السلطانيـة فيأبى خشية تقبيل الأرض للسلطان ويقول جئت للحج لا لغيره .

فلما صار الى الحضرة السلطانية قيل له قبّل الأرض فتوقف وأبى إباء ظاهراً وقال كيف يجوز هذا ؟ فأسرّ اليه رجل كان فى جانبه كلاماً ، نقال أنا أسجد لله الذى خلقنى وفطرنى ثم سجد . وتقدم الى السلطان فقـام له بعض القيام وأجلسه الى جانبه . وتحدثا طويلا .

ومقصـدنا من هذا الكلام فى الرواية الآتية عن صبح الأعشى :

«قال فى مسالك الأبصار قال ابن أمير حاجب سألته عن سبب انتقال الملك اليه نقال ان الذى قبلى كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مائتى سفينة ، وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفد أزوادهم . فغابوا مدة طويلة ثم عاد منهم سفينة واحـدة ، وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال سارت السفن زماناً طويلا حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة وادٍ له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب ، وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتى . فلم يصدقه فجهز ألفى سفينة : ألفاً للرجال وألفاً للأزواد . واستخلفنى وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . فكان آخر العهد به وبمن معه» اه

فما رأى المؤرخين والجغرافيين فى هذه الرواية العجيبة ؟

قد قرأنا فى الجرائد قبل سنة أو سنتين أن بعض البـاحثين صادف فى أمريكا الجنوبية قبائل تشبه أن تكون عربية مسلمة . فهل بلغ ملك السودان الغربى وأصحابه أمريكا فى القرن الثامن الهجرى وانقطعت الطريق بينهم وبين أفريقية فأقاموا هناك ؟ أوماذا ؟

لعل سعادة شيخ العروبة العلامة أحمد زكى باشا يدلى برأيه فى هذه المعضلة .

عبد الوهاب عزام

اسحاق نيوتن

(بقية المنشور على صفحة ١٠٣٥)

الى قانون طبيعى عام ،فذهب ينمى التسلية فى تجاربه العملية الضوئية حيث قدر له أن يصل الى اكتشاف لايقل فى خطورته عن قانون الجذب العام ، ولـكنه هذه المرة وان كان قد أتم اكتشافه فانه اخفاه عن العالم لمخالفته للآراء المأخوذ بها فى وقته

كشفه عن طبيعة الضوء الابيض : عند ماوجه جاليليو اول تلسكوب صنعه الى السماء ألهاه ماشاهده من عجائب غير منتظرة عن ان يعني بكون الصورة ممسوخة أوأن ضوءها مشوه، وهو مانلاحظه فى المناظير غير الدقيقة الصنع من تعدد الألوان . ولـكنه حاول بعد قليل ان يعرف سبب هذا التشوه وطريقة تلافيه ، وكان المظنون ان السبب فى ذلك راجع كله الى ظاهرة «الزيغ الـكرى» ، وهى ان الأشعة الآتية من الجسم البعيد عند مرورها فى عدسة التلسكوب تنكمش ولـكن لاتتجمع كلها فى البؤرة . وقد دفع نيوتن حبه للسماء الى محاولة معرفة سبب هذا التشوه اللونى للصور فقاده ذلك الى معرفة ان ضوء الشمس الابيض يتركب فى الواقع من عدة الوان تبتدىء بالاحمر وتنتهى بالبنفسجى وهى ما تسمى بألوان الطيف ، وذلك بان امر الضوء الابيض فى منشور ثلاثى من الزجاج . وبذلك عرف ان عيب التلسكوب ذى العدسة راجع الى تفرق الضوء الابيض الذى يمر فى العدسة فيسبب ما يسمى « بالزيغ اللونى » . لذلك حاول ان يصنع تلسكوبا آخر لايستخدم فيه عدسة لامة للاشعة ، بل يستخدم مرآة مقعرة تلم الاشعة ايضا، وقد نجح فى ذلك،ولايزال احد تلسكوباته محفوظا فى الجمعية الملـكية بلندن . وتستخدم الآن المرآة المقعرة بدلا من العدسات فى صنع اكبر تلسكوبات العالم . فتلسكوب مرصد « مونت ويلسون » له مرآة يبلغ قطرها ١٠٠ بوصة ويصنع الآن تلسكوب آخر قطر مرآته ٢٠٠ بوصة

انقضت سنتا العزلة الاجبارية وبلغ نيوتن الخامسة والعشرين وحان له أن يعود ممتلىء الرأس بكل الآراء الخطيرة التى وصل اليها الى كامبردج حيث الـكتب المحبوبة والاجهزة المطلوبة لاجراء التجارب ، وسنتركه الآن لنتم تاريخ حياته فى مقال قادم

مصطفى محمود حافظ